



الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
ISLAMIC UNIVERSITY OF MADINAH

مجلة الجامعة الإسلامية

لغة العربية وآدابها

مجلة علمية دورية محكمة

أبريل - يونيو ٢٠٢٣ م

الجزء : ١

العدد : ٨



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

معلومات الإيداع
في مكتبة الملك فهد الوطنية
النسخة الورقية:

رقم الإيداع ١٤٤٣/٣٢٨٣ بتاريخ ١٤٤٣/٠٤/٠٢ هـ
ردمد: ٩٠٧٦-١٦٥٨

النسخة الإلكترونية:
رقم الإيداع ١٤٤٣/٣٢٨٤ بتاريخ ١٤٤٣/٠٤/٠٢ هـ
ردمد: ٩٠٨٤-١٦٥٨

الموقع الإلكتروني للمجلة
<http://journals.iu.edu.sa/ALS/index.html>
ترسل البحوث باسم رئيس تحرير المجلة إلى البريد الإلكتروني:
asj4iu@iu.edu.sa
البحوث المنشورة في المجلة تعبر عن آراء الباحثين
ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة

جميع حقوق الطبع محفوظة للجامعة الإسلامية

هيئة التحرير

أ.د. عبدالرحمن بن دخيل ربّه المطر في

(رئيس التحرير)

أستاذ الأدب والنقد بالجامعة الإسلامية

د. إبراهيم بن صالح العوفي

(مدير التحرير)

أستاذ النحو والصرف المشترك بالجامعة الإسلامية

أ.د. عبدالعزيز بن سالم الصاعدي

أستاذ النحو والصرف بالجامعة الإسلامية

د. إبراهيم بن محمد علي العوفي

أستاذ اللغويات المشترك بمعهد تعليم اللغة العربية
بالجامعة الإسلامية

د. مبارك بن شتيوي الحبشي

أستاذ البلاغة المشترك بالجامعة الإسلامية

أ.د. محمد بن صالح الشنطي

أستاذ الأدب والنقد بجامعة جدرا-الأردن

أ.د. علاء محمد رأفت السيد

أستاذ النحو والصرف والعروض-جامعة القاهرة

أ.د. عبدالله بن عويقل السلمي

أستاذ النحو والصرف-جامعة الملك عبدالعزيز بجدة

قسم النشر: د. عمر بن حسن العبدلي

الهيئة الاستشارية

أ.د. محمد بن يعقوب التركستاني

أستاذ أصول اللغة بالجامعة الإسلامية

أ.د. محمد محمد أبو موسى

أستاذ ورئيس قسم البلاغة بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر

أ.د. توكي بن سهو العتيبي

أستاذ النحو والصرف بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أ.د. عبدالرزاق بن فراج الصاعدي

أستاذ اللغويات بالجامعة الإسلامية

أ.د. سالم بن سليمان الحتماش

أستاذ اللغويات في جامعة الملك عبدالعزيز

أ.د. محمد بن مريسي الحارثي

أستاذ الأدب والنقد في جامعة أم القرى

أ.د. ناصر بن سعد الرشيد

أستاذ الأدب والنقد بجامعة الملك سعود

أ.د. صالح بن الهادي رمضان

أستاذ الأدب والنقد. تونس

أ.د. فايز فلاح القيسي

أستاذ الأدب الأندلسي في جامعة الإمارات العربية المتحدة

أ.د. عمر الصديق عبدالله

أستاذ التربية وتعليم اللغات بجامعة أفريقيا العالمية-الخزطوم

د. سليمان بن محمد العيدي

وكيل وزارة الإعلام سابقاً

قواعد النشر في المجلة (*)

- أن يكون البحث جديداً؛ لم يسبق نشره.
- أن يتسم بالأصالة والجدة والابتكار والإضافة للمعرفة.
- أن لا يكون مستقلاً من بحوثٍ سبق نشرها للباحث.
- أن تراعى فيه قواعد البحث العلميّ الأصيل، ومنهجيتّه.
- أن يشتمل البحث على:
 - عنوان البحث باللغة العربية وباللغة الإنجليزية.
 - مستخلص للبحث لا يتجاوز (٢٥٠) كلمة؛ باللغتين العربيّة والإنجليزية.
 - كلمات مفتاحيّة لا تتجاوز (٦) كلمات؛ باللغتين العربيّة والإنجليزية.
 - مقدّمة.
 - صلب البحث.
 - خاتمة تتضمّن النتائج والتوصيات.
 - ثبت المصادر والمراجع باللغة العربية.
 - رومنة المصادر العربية بالحروف اللاتينية في قائمة مستقلة.
- في حال (نشر البحث ورقياً) يمنح الباحث نسخة مجانية واحدة من عدد المجلة الذي نُشر بحثه فيه، و (١٠) مستلّات من بحثه.
- في حال اعتماد نشر البحث تؤوّل حقوق نشره كافة للمجلة، ولها أن تعيد نشره ورقياً أو إلكترونياً، ويحقّ لها إدراجه في قواعد البيانات المحليّة والعالمية - بمقابل أو بدون مقابل - وذلك دون حاجة لإذن الباحث.
- لا يحقّ للباحث إعادة نشر بحثه المقبول للنشر في المجلة - في أي وعاء من أوعية النّشر - إلّا بعد إذن كتابي من رئيس هيئة تحرير المجلة.
- نط التوثيق المعتمد في المجلة هو نط (شيكاجو).

(*) يرجع في تفصيل هذه القواعد العامة إلى الموقع الإلكتروني للمجلة: <http://journals.iu.edu.sa/ALS/index.html>

محتويات العدد

م	البحث	الصفحة
(١)	مَا زَيْدَ عَلَى الْمَشْهُورِ فِي مَسَائِلِ النَّحْوِ دِرَاسَةٌ وَصْفِيَّةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ د. نواف بن أحمد بن عثمان حكيم	٩
(٢)	أبو عمرو الداني، واختياراته النحوية من خلال كتابه : المِكتَفَى في الوقف والابتداء د. إبراهيم بن علي بن محمد آل قايد عسيري	٩٩
(٣)	الأبنية المستدركة على سيبويه بين ابن عصفور وأبي حيان عبد العزيز بن أحمد بن عبد الرحمن المنيع	١٦٥
(٤)	تجليات النخلة في النظم القرآني (دراسة بلاغية) د. عبد المجيد بن محمد الصاعدي	٢٣٩
(٥)	"إقناعية الأمر والنهي وقوتهما الإنجازية في القرآن الكريم الأمر بإيتاء اليتامى أموالهم والنهي عن أكل أموال الناس بالباطل نموذجاً" د. سحر مصطفى إبراهيم المعنّا	٣٠٧

م	البحث	الصفحة
(٦)	القوة الإقناعية في الاستعارة التصويرية د. محمد الناصر كحولي	٣٥٧
(٧)	الانسجام التأويلي دراسة عن أثر القارئ في تحقيق انسجام النص الشعري د. موسى بن درباش الزهراني	٤٠٥
(٨)	بلاغة النظم والتصوير في (قافية) ابن المُقَرَّب العيوني د. قُدَّاس بنت خالد بن محمد الخضيرى	٤٣٩
(٩)	الأدب الترفيهي أنواعه ، وآثاره في إثراء رؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠ د. نايف بن عبدالله حسين الحازمي	٥١١
(١٠)	المادة الأدبية في كتاب جمهرة النسب لابن الكلبي (ت ٢٠٤هـ) منى بنت خلف العنزي	٥٥٥
(١١)	أخطاء التلاوة لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى د. علي بن هذلول علي الهذلول	٦٠١

تجليات النخلة في النظم القرآني (دراسة بلاغية)

Manifestations of the Palm Tree in the Quranic Composition (A Rhetorical Study)

د. عبد المجيد بن محمد الصاعدي

الأستاذ المساعد بقسم الأدب والبلاغة بكلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية

البريد الإلكتروني: erer3344@hotmail.com

المستخلص:

يتناول هذا البحث دراسة تجليات النخلة في نظم القرآن الكريم، وذلك من خلال استقراء الآيات القرآنية التي وردت فيها النخلة أو جزء من أجزائها وتصنيفها في مقامات القرآن الكريم وتحليلها تحليلًا بلاغيًا يكشف الدلالات البلاغية لورود النخلة وفقًا لما يقتضيه المقام.

وتأتي أهمية هذا الموضوع في الوقوف على الدلالات البلاغية التي تجلت فيها النخلة؛ حيث جاءت في اثنتين وعشرين آية من نظم القرآن الكريم، وفي مقامات متنوعة، وبصيغ وتراكيب وصور مختلفة، وتحليلها بما يسهم في الكشف عن المعاني الدقيقة والخصائص البلاغية التي وردت بخصوصية، والمقارنة بين مظاهر الاختلاف فيها من حيث اختلاف الصيغ والتراكيب والصور، وبيان مظهر من مظاهر الإعجاز البلاغي في نظم القرآن الكريم.

وقد سار البحث وفق المنهج الوصفي التحليلي مستعينًا بالمنهج الاستقرائي والمنهج الإحصائي، وصُنفت خطته في: مقدمة، وتمهيد يتناول النخلة في اللغة وقيمتها عند العرب وورودها في شعرهم، وثلاثة مباحث: الأول: عن تجليات النخلة في مقام الحديث عن عظمة الله - تعالى - وقدرته وآياته ونعمه، والثاني: عن تجليات النخلة في مقام ضرب الأمثال، والثالث: عن تجليات النخلة في مقام القصص القرآني والإخبار عن إهلاك الأمم السابقة، وخاتمة تضمنت أهم النتائج، وثبت للمصادر والمراجع، وفهرس للموضوعات.

ومن أهم النتائج في هذا البحث: تعد النخلة من الأشجار المباركة المشهورة عند العرب، فورد ذكرها بدلالات بلاغية لغرض التفكير والاعتبار، والحث على الانتفاع بها وبثمرها، وبيان دورها الجمالي والغذائي والتفكهي في بساين الدنيا وجنة الآخرة. **كلمات مفتاحية:** تجليات، النخلة، النظم القرآني، دراسة بلاغية.

Abstract

This research studies the manifestations of the palm tree in the composition of the Noble Qur'an, by making an exhaustive study of the Qur'anic verses in which the palm tree or some of its parts are mentioned, classifying them according to the occasions of the Noble Qur'an, and analysing them rhetorically in a manner that reveals the rhetorical connotations of the mention of the palm tree according to the requirements of these occasions. The topic is important in the sense that it explores the rhetorical connotations manifested by the palm tree, which appeared in twenty-two verses of the Noble Qur'an composition, in various occasions, and in different patterns, structures and forms. They will be analysed in a way that contributes to revealing the exact meanings and rhetorical characteristics that were mentioned in particular. The importance of this topic lies in standing on the rhetorical connotations in which the palm tree was manifested. Where it came in twenty-two verses from the compositions of the Noble Qur'an, in various occasions, and in different forms, structures and aspects, and analyzed in a way that contributes to revealing the exact meanings and rhetorical characteristics that were mentioned in particular, and comparing the manifestations of difference in them in terms of different forms, structures and aspects, and an explanation of one of the manifestation of Rhetorical miracles in the compositions of the Noble Quran.

The research adopted the descriptive and analytical methodology, using the inductive and statistical approaches. Its plan was classified into an introduction, a preface dealing with the linguistic meaning of the palm tree, its value among the Arabs and its occurrence in their poetry, and three research topics: the first was about the manifestations of the palm tree in the occasion of mentioning the greatness, ability, signs, and grace of the Creator. The second topic was on the manifestations of the palm tree in the occasion of making proverbs, while the third was about the manifestations of the palm tree in the occasion of Quranic stories and news of the destruction of previous nations. The research ended with a conclusion that included the most important findings, list of references, and indices.

One of the most important findings of this research is that the palm tree is considered one of the blessed trees famous among the Arabs.

It was mentioned with rhetorical connotations for the purpose of reflection and consideration, urging its use and fruit, and explaining its aesthetic, nutritional and amusing role in the orchards of this world and the paradise of the hereafter.

Keywords: Manifestations, the palm tree, Quranic composition, a rhetorical study.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيه الأمين وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد؛ فإن القرآن الكريم كتاب الله العزيز الذي تحدى به أرباب الفصاحة والبيان؛ لما اشتمل عليه من بلاغة معجزة، وحجج باهرة تدل على وحدانيته وعظمته - سبحانه وتعالى - فجاءت آياته في ذكر النعم العظيمة التي سخرها للخلق، وفي ضرب الأمثال التي بها تتجلى المعاني ويكون الوعظ والاعتبار، وفي القصص والإخبار عن الأمم السابقة، وفي تشريع الأحكام وفرض الفرائض، فحسنا الله على تدبر آياته، فقال - تعالى -: ﴿كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ {سورة ص: ٢٩}.

ولما جاءت النخلة في نظم القرآن الكريم بدلالات بلاغية في مواضع متعددة تربو على العشرين موضعاً، فتجلت في مقامات متنوعة، بما يجعلها آية ودليلاً كونياً يدل على عظمة الله وقدرته ونعمه، ومثلاً مضروباً يوضح المعاني ترغيباً وترهيباً، ورمزاً مشهوراً له أهمية كبيرة ترتبط بحياة العرب وقصصهم، فإن النخلة قد حظيت باهتمام يحقق لها التميز والشرف بين أصناف النباتات؛ حيث وردت في نظم القرآن الكريم بصيغ متنوعة وتراكيب متعددة وأساليب متباينة ووصفت وصفاً دقيقاً يتناسب مع المقام، وانطلاقاً من هذه الأهمية فقد كان موضوع النخلة حرياً بالبحث والدراسة من خلال استقراء الآيات التي وردت فيها أو ذكر فيها جزء من أجزائها وتحليلها تحليلًا بلاغياً يكشف المعاني البلاغية والفروق الدلالية وتعليقها وفقاً لما يقتضيه المقام، فوسم هذا البحث بعنوان: (تجليات النخلة في النَّظم القرآني - دراسة بلاغية).

وتأتي أهمية هذا البحث في الوقوف على الدلالات البلاغية التي تجلت فيها

النخلة في مقامات النظم القرآني وتحليلها بما يسهم في الكشف عن المعاني الدقيقة والخصائص البلاغية التي وردت بخصوصية يقتضيها المقام وبيان مظهر من مظاهر الإعجاز البلاغي في نظم القرآن الكريم.

وأما أسباب اختيار هذا الموضوع فتعود إلى دوافع علمية توافرت فيه، وأهمها ما يأتي:

١- ورود النخلة وأجزائها في اثنتين وعشرين آية وفي مقامات متنوعة وتمثلات بلاغية مختلفة.

٢- تنوع ورود النخلة في نظم القرآن الكريم بين صيغة الجمع (نخل) وصيغة الجمع الجنسي (نخل) وصيغة الإفراد (النخلة)، وبين التذكير والتأنيث والتعريف والتكثير والتقديم والتأخير.

٣- تنوع ورود النخلة بين تسميتها باسمها (النخلة) و (النخل) و (النخل) وذكرها بغير اسمها (شجرة) و (لينة) و (حدائق غلبا).

٤- اهتمام النظم القرآني بذكر النخلة وأجزائها وتنوع الوصف فيها وصفا دقيقا يتناسب مع ما يقتضيه المقام.

٥- محاولة الوقوف على الأسرار البلاغية والفروق الدلالية لورود النخلة وتنوع وصفها وربط ذلك بالمقام.

أما الدراسات السابقة لهذا الموضوع، فهناك بحث بعنوان: (النخلة في التعبير القرآني) لمحمد يونس حمش خلف، جامعة الموصل - كلية التربية للعلوم الإنسانية مجلة التربية والعلم، العراق، المجلد ١٤، العدد الأول: ٢٠٠٧م، تناول فيه الباحث دلالات النخلة في القرآن الكريم من خلال عرض موجز لأسمائها وبعض أجزائها فاتسم البحث بالوصف الموجز؛ جاء في مجمله (أربعاً وعشرين صفحة)، تحدث فيها الباحث عن ورود النخلة باسمها وبغير اسمها، وذكر صفات النخلة التي وردت في القرآن الكريم،

تجليات النخلة في النَّظم القرآني (دراسة بلاغية)، د. عبد المجيد بن محمد الصاعدي

والاستشهاد عليها بأقوال العلماء وهو بحث دلالي جاءت البلاغة فيه بصورة إشارات عامة في مواضع قليلة جداً، وكان الحديث عن النخلة وصفاتها بمعزل عن المقام الذي وردت فيه، فهو يعطي صورة عامة لورود النخلة في القرآن الكريم من خلال الوصف المقتضب، وتختلف فكرة البحث المعني بالدراسة عن الدراسة السابقة، في الوقوف على تجليات النخلة وأجزائها في نظم القرآن الكريم وبيان الأسرار البلاغية والخصائص الأسلوبية لهذا التجلي من خلال التحليل البلاغي والمقارنة والتعليل واستنباط الفروق الدلالية، وربط ذلك بما يقتضيه المقام في نظم القرآن الكريم بما يحقق الهدف المنشود من هذا البحث وهو بيان التوظيف البلاغي للنخلة وأجزائها في النظم القرآني.

وأما المنهج المتبع في هذه الدراسة فهو المنهج الوصفي التحليلي الذي يحلل الدلالات البلاغية التي وردت فيها النخلة في مقامات القرآن الكريم تحليلاً بلاغياً، يتسم بالمقارنة والتعليل واستنباط الأسرار البلاغية واللطائف الدلالية، مع الاستعانة بالمنهج الاستقرائي والإحصائي.

وقد صُنفت خطة البحث في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وثبت للمصادر والمراجع، وفهرس للموضوعات؛ فأما المقدمة فتضمنت أهمية الموضوع والهدف منه وأسباب اختياره والمنهج الذي سار عليه، وأما التمهيد فقد تناول النخلة في اللغة وقيمتها عند العرب وورودها في شعرهم، وأما المبحث الأول فوسم بـ: تجليات النخلة في مقام الحديث عن عظمة الله وقدرته وآياته ونعمه، وجاء المبحث الثاني في بيان تجليات النخلة في مقام ضرب الأمثال، وأما المبحث الثالث، فعن تجليات النخلة في مقام القصص القرآني والإخبار عن إهلاك الأمم السابقة، وأما الخاتمة فخلصت إلى أبرز النتائج.

هذا وأسأل الله -تعالى- بفضله وكرمه الإخلاص والقبول في القول والعمل، وصلى الله وسلم على نبيه الكريم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

التمهيد:

النخلة في اللغة، وقيمتها عند العرب، وورودها في شعرهم

أولاً: معاني مادة (نَخَلَ) في اللغة:

تدل مادة (نَخَلَ) في اللغة على معنى انتقاء الشيء واختياره، واستقصاء الشيء وأخذ أفضله، وتدل على معنى التصفية، نخلت كذا أي؛ صفيته، وانتخلته أي؛ اخترته وانتقيته، والنخل نوع من الحلي والزينة سمي بذلك لنفاسته وجماله، قال ابن فارس: "النون والحاء واللام: كلمة تدل على انتقاء الشيء واختياره، وانتخلته؛ استقصيت حتى أخذت أفضله، وعندنا أن النخل سمي به؛ لأنه أشرف كل شجر ذي ساق، الواحدة نخلة، والنخل؛ نخلك الدقيق بالمنخل، وما سقط منه فهو نخالة، والنخل ضرب من الحلي على صورة النخل"^(١). والنخلة اسم للشجرة المعروفة تأتي مفردة (نخلة) وجمعا (نخيل) وجمعا جنسيا (نخل) وتجمع على (نخلات)، ويتجلى مما سبق أن النخلة سميت بهذا الاسم؛ لما لها من مكانة عظيمة تكسبها أهمية وتميزا بين سائر الأشجار، لنفاستها وفضلها، فهي شجرة مباركة كريمة تحوي في خصائصها وتميزها ما يدل على معنى الاختيار والانتقاء والتصفية والتفضيل والجمال والزينة.

ثانياً: قيمة النخلة عند العرب وورودها في شعرهم:

تُعد النخلة من أهم الأشجار عند العرب منذ القدم، وكان ارتباطهم بها ارتباطاً وثيقاً؛ لما لها من دور كبير في حياتهم، فهي شجرة العطاء والبركة، تعطيهم كل ما يحتاجونه من غذاء وتفكه ودواء وطعام للدواب، ويأخذون منها ما يحتاجونه في صناعة البيوت، ويستفاد من كل أجزائها، وهي رمز للعطاء والشموخ والصبر

(١) أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م (ط.د): (٥/ ٤٠٧) مادة (ن خ ل).

تحليلات النخلة في النظم القرآني (دراسة بلاغية)، د. عبد المجيد بن محمد الصاعدي

والجمال، ولذلك أُلِّفت فيها الكتب فتحدثوا عن قيمتها وأهميتها وفوائدها وصفاتها وأسمائها وعلاقة الإنسان بها؛ ومن تلك الكتب: كتاب التمر لأبي سعيد بن أوس الأنصاري (ت ٢١٥هـ)، وكتاب النخل والكرم المنسوب للأصمعي (ت ٢١٦هـ)، وكتاب صفة النخيل لابن الأعرابي (ت ٢٣١هـ)، وكتاب الزرع والنخل لأبي أحمد الباهلي (ت ٢٣١هـ)، وكتاب الزرع والنخل للجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، وكتاب النخلة لأبي حاتم السجستاني (ت ٢٥٥هـ)، وكتاب الزرع والنبات والنخل وأنواع الشجر للمفضل الضبي (ت ٣٠٨هـ). كما جاءت السنة النبوية بأحاديث متعددة تدل على فضل النخلة وتمرها وبركتها؛ حيث شُبه بها المسلم، وذلك فيما روي عن ابن أبي نجيح^(١)، عن مجاهد قال: صحبت ابن عمر إلى المدينة، فلم أسمعته يحدث عن رسول الله ﷺ إلا حديثاً واحداً قال: كنا عند النبي ﷺ، فأُتي بجمار فقال: من الشجر شجرة مثلها مثل الرجل المسلم، فأردت أن أقول: (هي النخلة)، فإذا أنا أصغر القوم، فسكت، فقال رسول الله ﷺ: "هي النخلة"^(٢). ومن الأحاديث النبوية التي تدل على أهمية

(١) هو عبد الله بن أبي نجيح الإمام الثقة المفسر، أبو يسار الثقفني المكي، واسم أبيه: يسار، مولى الأحنس بن شريق الصحابي، حدث عن: مجاهد، وطاووس، وعطاء، ونحوهم، ولم يرد له شيء عن أحد من الصحابة، كان جميلاً، فصيحاً، حسن الوجه، لم يتزوج قط، توفي سنة إحدى وثلاثين ومئة. ينظر: محمد بن أحمد الذهبي، سير أعلام النبلاء، دار الحديث - القاهرة، الطبعة: ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م: (٦/ ٢٧٤).

(٢) ينظر: محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م: (١٦/ ٥٦٧)؛ و: محمود بن عمرو الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ: (٢/ ٥٥٣)، والحديث في صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ أدرجه في باب الفهم بالعلم برقم (٧٢): (١/ ٢٥).

تمر النخلة وقيمتها ما روته عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يَا عَائِشَةُ، بَيْتٌ لَا تَمَرُ فِيهِ جِيَاعٌ أَهْلُهُ، يَا عَائِشَةُ، بَيْتٌ لَا تَمَرُ فِيهِ جِيَاعٌ أَهْلُهُ"^(١).

ومما يدل على أهمية النخلة وقيمتها عند العرب ورودها في أشعارهم، فقد وصفوا جمالها وبيّنوا قيمتها ونفعها، حتى أصبحت صورة بيانية يعبرون بها عن معاني الكرم والوفاء والجمال وغيرها من معاني الشعر، حيث نجد في كل عصر من العصور كثيرا من الشعراء قد ذكروا النخلة فاحتلت جزءا كبيرا من شعرهم؛ ومن الأمثلة على ذلك، قول امرئ القيس يصف جمال شعر المرأة مشبها بها قنو النخلة (من البحر الطويل)^(٢):

وَفَرَعٍ يَزِينُ الْمَتْنَ أَسْوَدَ فَاحِمٍ أَثْبِتْ كَقِنُو النَخْلَةِ الْمُتَعَثِكِلِ^(٣)
ويقول زهير بن أبي سلمى في بيان أن الكريم لا ينبت إلا من أصل كريم (من البحر الطويل)^(٤):

(١) الحديث في صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت (د.ت.ط): (باب في ادخار التمر) برقم: (١٥٣): (٣/ ١٦١٨).

(٢) البيت في ديوان امرئ القيس، تحقيق: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م: (ص: ٤٣).

(٣) العثكول أو العثكال الشمراخ، وما هو عليه البسر من عيدان الكباسة وهو في النخل بمنزلة العنقود من الكرم، والعثكولة ما علق من عهن أو زينة فتذبذب في الهواء. ينظر: محمد بن أحمد الأزهرى، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت - الطبعة: الأولى، ٢٠٠١ م: (٣/ ١٩٦) مادة (عثكل).

(٤) البيت في ديوان زهير بن أبي سلمى، شرحه وقدم له: علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠٨ - ١٩٨٨ م: (ص ٨٧).

تجليات النخلة في النَّظْمِ القرآني (دراسة بلاغية)، د. عبد المجيد بن محمد الصاعدي

وهل ينبت الخطيَّ إلاَّ وشيخُه وتُغرسُ إلاَّ في منابتها النَّخلُ^(١)

وقال ابن الرومي في وصل الحبيب واصفا تمر النخلة الذي بُعث إليه (من البحر الطويل)^(٢):

بعثت ببرني جنيَّ كأنه	مخازن تبرٍ قد ملئن من الشهد
مُحْتَمَّةُ الأطراف تنقُذُ قُمْصُها	عن العسل الماضي والعنبر الهندي
ينقل من خُضر الثياب وصفرها	إلى حُمْرها ما بين وشي إلى برد
فكم لبثت في شاهقٍ منه لا ترى	ولا تُجتنى باللحظ إلا من البعد
ألدَّ من الشكوى وأحلى من المنى	وأعذب من وصل الحبيب على الصّدِّ

وقال أبو نواس في وصف الخمر الذي يتخذ من ثمار النخل (من البحر الوافر)^(٣):

لنا خمْرٌ وليسَ بخمرٍ محلٍّ	ولكن من نتاجِ الباسقاتِ
كرائمُ في السماءِ زهينَ طولاً	ففاتَ ثمارها أيدي الجنّةِ
قلانسُ في الرّؤوسِ لها ضُرُوعٌ	تدِرّ على أكفّ الحالباتِ

(١) الخطي: هي الرماح المنسوبة إلى جزيرة بالبحرين تسمى الخط؛ تجلب إليها الرماح القنا من الهند، والوشيج: وصف لكل شيء مشتبك ملتف، والوشيج من القنا والقصب ما ثبت منه معترضا. ينظر: محمد بن منظور لسان العرب، دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ: (٧/ ٢٩٠) مادة (خطي)؛ و: الأزهري، تهذيب اللغة: (١١/ ٩٢) مادة (وشج).

(٢) الأبيات في ديوان ابن الرومي، شرح الأستاذ أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الثالثة: ١٤٢٣-٢٠٠٢ م: (١/ ٥٢٤).

(٣) الأبيات في ديوان أبي نواس، شرح وتحقيق: محمد انيس مهراث، دار مهارات للعلوم، حمص - سورية، الطبعة الأولى: ٢٠٠٩ م: (ص ١٦٨).

وفي العصر الحديث يقول أحمد شوقي وهو يصف منظر النخيل وصفا بديعا (من البحر المتقارب)^(١):

أهَذَا هُوَ النَّخْلُ مَلِكُ الرِّيَاضِ أَمِيرُ الْحَقُولِ عَرُوسُ الْعَرَبِ
طَعَامُ الْفَقِيرِ، وَحَلَوَى الْغَنِيِّ وَزَادُ الْمَسَافِرِ وَالْمُعْتَرِبِ
فِيَا نَخْلَةَ الرَّمْلِ لَمْ تَبْخَلِي وَلَا قَصَّرَتْ نَخْلَاتُ التُّرْبِ

إلى غير ذلك من الشواهد الشعرية التي تبين اهتمام العرب بالنخلة وأجزائها فتجلت في شعرهم في كثير من مواضعه، بما يؤكد ارتباطهم الوثيق بها، فصارت رمزا أصيلا يوظفه الشعراء في شعرهم؛ وتنتمى لهذا الاهتمام والاحتراف فإن القرآن الكريم قد تحدث عن النخلة وأجزائها ووظفهما في الاستدلال على عظمة الله وبيان فضله ونعمه، وضرب المثل، والقصص والإخبار عن إهلاك الأمم السابقة، في اثنتين وعشرين آية، فوردت النخلة بصيغ متنوعة وتراكيب وصور متعددة ووصفت هي وأجزاؤها بأوصاف متنوعة كل ذلك وفقا لما يقتضيه المقام، بما يؤكد أهميتها وتميزها بين الأشجار، حيث كان في ورودها في نظم القرآن الكريم دلالات بلاغية دقيقة يمكن الوقوف على شيء منها من خلال التحليل البلاغي في مباحث هذا البحث.

(١) الأبيات في ديوان شوقي، توثيق وتبويب وشرح وتعقيب: أحمد محمد الحوفي، نخضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة (د. ط. د. ت.): (ص ٤٦).

المبحث الأول: تجليات النخلة في مقام الحديث عن عظمة الله وقدرته

وآياته ونعمه

تُعد النخلة من الآيات العظيمة التي تدل على عظمة الله -تعالى- في خلقه، فجاء الحديث عنها ووصفها في جنة الدنيا وجنة الآخرة، وبيان بركة الماء بإنزاله وسوقه والإنبات به، بما يكشف نعمة النخلة التي سخرها الله -تعالى- لعباده؛ لينتفعوا بها بين الأكل والزينة وحماية الزروع، كما جاءت أجزاءها معلما تشبيها لبيان قدرة الله في تسخير آية القمر وتقدير منازلها؛ ويتجلى الحديث عن ذلك وفقا لما يأتي:

أولاً: ورود النخلة في الاستدلال على عظمة الله تعالى بنعمة إنزال الماء وإنشاء الجنات:

ورد الحديث عن النخلة في سياق الاستدلال على عظمة الله -تعالى- بنعمة إنزال الماء وإنشاء الجنات في مواضع متعددة من النظم القرآني، وذلك في قوله -تعالى-: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرُجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ {الأنعام: ٩٩} حيث جاءت هذه الآية في معرض الحديث عن النعم التي أنعم بها الله -تعالى- على عباده فكانت دليلا على عظمته سبحانه وفضله وإحسانه؛ فلما ذكر في الآية التي قبل هذه الآية قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ {الأنعام: ٩٥} ناسب في هذه الآية أن يبين ما يخرج به الماء من الزرع والشجر وفقا لأسلوب اللف والنشر، فيكون الخضر؛ وهو الزرع

الذي ينبت من الحب، والنخل الذي هو من الشجر وينبت من النوى، فبين أن الأول وهو الزرع، يخرج منه حبا متراكما بعضه فوق بعض، وأن الثاني وهو النخل الذي من الشجر، يخرج من طلعه قنوان دانية فقدم الحديث عن الزرع على النخل كما ورد في ترتيب الحب والنوى الذي ذكر في الآية السابقة، ولكون النخل يأتي بعد الزرع الذي هو أهم في غذاء الناس؛ من القمح والشعير وغيرهما من الأغذية الضرورية في حياة الإنسان، جاء الحديث عن إخراج النخل وثمره في المرتبة الثانية من نعمة النباتات بما يفيد أهميته، وعطف على النخل بذكر أنواع أخرى من الشجر فذكر الأعناب والزيتون والرمان، وتأتي بلاغة الالتفات من الفعل الذي يدل على الغائب المفرد (أنزل) إلى المتكلم بصيغة الجمع للتعظيم (أخرجنا) بدلالات بلاغية تتناسب مع مقام التعظيم وذكر النعم؛ لما يفيد الالتفات بهذه الصورة من بيان بأن نعمة إخراج النبات نعمة أخرى تختلف عن نعمة إنزال الماء بما يقتضي التنبيه على نعمة النباتات وتفصيلها التي وردت، وجاء الالتفات بين صيغة الفعل الماضي (أخرجنا) إلى الفعل المضارع (تُخرج) لما يفيد صيغة المضارع من دلالة على استحضار صورة إخراج الحب من الزرع والطلع من النخل؛ لتكون هذه الصورة البديعة حاضرة مشاهدة لدى المخاطب فتدعوه إلى التفكير في دقة صنع الله - تعالى - في اتساق السنابل والقنوان وتنضدها وانتظامها، إضافة إلى دلالة تجدد هذا الإخراج كلما شاء الله - تعالى - وفق مواسم نبت الزرع وطلع النخل، والمتأمل في دلالة تلوين الخطاب بالالتفات في هذا المقام يلحظ مناسبته للدلالة على تنوع نعم الله - تعالى - وعظمتها^(١).

وورد التعريف بـ(أل) في (النخل) للدلالة على الجنس والعهد بما يفيد الإخبار

(١) ينظر: محمد بن عمر الرازي، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ: (١٣ / ٨٤)؛ و: محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب: ١٩٩٠ م: (٧ / ٥٣٧).

تجليات النخلة في النظم القرآني (دراسة بلاغية)، د. عبد المجيد بن محمد الصاعدي

بكثرة حصول إنباته وإخراج ثمره، وأنه معروف معهود؛ أي هو النخل الذي تعرفونه أيها العباد بما يؤكد مناسبة هذا التعريف بهذه الصيغة التي تدل على الجمع الجنسي لمقام تعظيم الله - تعالى - وذكر نعمه، وتتميمًا لذلك جاء وصف ما يخرج من طلع النخل بـ (قنوان دانية) فورد ذكر جزأين من أجزاء النخلة هما: الطلع والقنوان؛ فأما الطلع فهو أول ما يرى من عذق النخلة إذا انشقت منها ويسمى (كيزان)، وأما القنوان فهي جمع قنو وتأتي على التثنية وعلى جمع الكثرة بخلاف أقناء التي للقلة، والقنوان هي العراجين التي تتدلى من طلع النخل، وقد جاءت صيغة الجمع في (طلعها) و (قنوان) بما يدل على الكثرة مناسبة لمقام التعظيم وتعداد النعم، ويدل تنكير (قنوان) على التكثير والاستغراق، وقد قيّد بوصف (دانية) للدلالة على ما دنا وقرب من الأرض وكان متهدلاً في تناول الناس تكريماً لهم، وتقدير الآية: (قنوان دانية وبعيدة) فحذفت (بعيدة) وبقيت (دانية) لدلالة العقل عليها وفقاً لأسلوب الاكتفاء^(١)؛ وتأتي بلاغة هذا الأسلوب البديعي في هذا المقام بما يفيد التكريم بالاختصار على ذكر صفة دنو القنوان؛ لأن النعمة تكون بها أظهر وأنفع، ولعل من البلاغة في الاختصار على وصف القنوان بالدانية دون البعيدة مع وجود أنواع من النخل تكون طويلة بعيدة المنال لثمارها إلا بوسيلة؛ الإشارة لما في نفوس الناس من رغبة واشتهاء لثمره فيكون

(١) عرفه الزركشي بقوله: "أن يقتضي المقام ذكر شيئين بينهما تلازم وارتباط فيكتفى بأحدهما عن الآخر ويخص بالارتباط العطف غالباً فإن الارتباط خمسة أنواع وجودي ولزومي وخبري وجوابي وعطف، ثم ليس المراد الاكتفاء بأحدهما كيف اتفق، بل لأن فيه نكتة تقتضي الاختصار عليه، والمشهور في مثال هذا النوع قوله - تعالى -: ﴿سَرَابِيلٌ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾" {النحل: ٨١}، والتقدير في الآية: (سراويل تقيكم الحر والبرد)، محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م: (٣ / ١١٨).

بعيده قريبا وكل صعب في الحصول عليه هينا^(١).

ويلحظ في نظم الآية وصف ثمار هذه النباتات بقوله: ﴿مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ﴾ وهي حال من الزيتون والرمان، وقد ورد أنها حال للزيتون والرمان والنخل؛ لكون هذه الحال جارية على ثمار النخل كما هي في الزيتون والرمان، قال البيضاوي: "مشتبهها وغير متشابهه حال من الرمان، أو من الجميع؛ أي بعض ذلك متشابه وبعضه غير متشابه في الهيئة والقدر واللون والطعم"^(٢)، والذي يظهر أنها حال من الزيتون والرمان بدليل ما ورد في آية أخرى حيث وصف النخل والزروع بمختلف أكله ووصف الزيتون والرمان بمتشابه وغير متشابه في قوله - تعالى -: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾ {الأنعام: ١٤١} وفي ذلك بيان لكمال قدرة الله - تعالى - وفضله في إخراج هذه الثمار الكثيرة على هيئة التشابه والاختلاف، وفي ختام الآية التي تحدثت عن هذه النعم الدالة على عظمته - سبحانه - ذكر تفصيل هذه النباتات التي تخرج بسبب الماء ووصفها وصفا بديعا، وجاء الأمر بالنظر في ثمارها ﴿أَنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ بما يدعو إلى التفكير والتأمل تتيما للمعنى حيث أمر بالنظر المحسوس والمعقول إلى ثمره إذا أثمر وينعه، وهذه الصفات تعود على ثمر كل النباتات

(١) ينظر: الزمخشري، الكشاف: (٢/ ٥٢)؛ و: محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر - تونس: ١٩٨٤ هـ (د.ط): (٧/ ٤٠٠)؛ و: عبد الكريم يونس الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي - القاهرة، (د.ط): (٤/ ٢٤٩).

(٢) عبد الله بن عمر البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ: (٢/ ١٧٥).

التي ورد ذكرها في الآية من الحب والتمر والعنب والزيتون والرمان، وهي دعوة إلى التفكير في حال هذه النباتات وثمارها كيف يخرجها الله -تعالى- ضئيلة ضعيفة لا يكاد يُنتفع بها، ثم تتحول شيئاً فشيئاً إلى ثمار يانعة ناضجة ينتفع بها الناس، وهذا ما يجلي للمتأمل أن الحديث عن إخراج النبات بمختلف أنواعه وثماره جاء لبيان عظمة الله -تعالى- وقدرته وتفضله وإحسانه على عباده بهذه النعم العظيمة بما يقتضي التفكير في قدرة الله على تغيير الأحوال، فجاء الحديث عن النخل مع بعض النباتات دليلاً وآية لبيان قدرة الله على الإحياء والإماتة وتغيير الأحوال بما يؤكد ما ورد في الآية التي قبلها: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾ وذلك حثاً لأولي الألباب على التفكير والإيمان بالله -تعالى- وقدرته العظيمة، فختم آخر الآية بتوكيد الجملة بـ(إِنَّ) التي تفيد التوكيد والتعليل، واللام، بأن ما ورد وصفه من الإنبات لآيات لقوم يؤمنون وفقاً لأسلوب تشابه الأطراف فجاء ختام الآية بما يتناسب مع مقام التفكير في عظمة الله -تعالى- ويدعو إلى الإيمان بما يقتضي مدح المؤمنين المتصفين بالتفكير في آيات الله والاعتبار بها وتصديقها، والتعريض بأهل الضلال والكفر الذين تكون نظرهم قاصرة دون تفكير واعتبار فلا يؤمنون بالله -تعالى-، وتأتي بلاغة تشابه الأطراف في هذه الآية بدلالة بلاغية تؤكد الغاية من ذكر هذه النعمة من إخراج النبات بالماء وإخراج هذه الثمار المباركة، وهي بيان عظمة الله -تعالى- وبيان فضله وإحسانه وتجلي كمال قدرته والاستدلال عليها بما هو مشاهد محسوس عن طريق التفكير والاعتبار، ولذلك يلحظ في ورود كلمة (يؤمنون) فعلاً مضارعاً دلالة على تجدد هذه الصفة بما يدعو العقول إلى تجدد هذا التفكير في هذه الآيات العظيمة ليزداد إيمانهم بالله، إضافة إلى دلالة حذف متعلق الفعل (يؤمنون)، ولعل ذلك لتذهب فيه العقول مذاهب كثيرة من صفات الإيمان المحثوث عليها فيكون الإيمان بالله وقدرته والإقرار بنعمه التي لا تحصى وغير ذلك مما يدخل في معنى الإيمان بالله تعظيماً

وتقدير^(١).

وقوله - تعالى -: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّاتَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَعَآئُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ { الأنعام: ١٤١ } حيث جاء الحديث عن النخلة بصيغة الجمع الجنسي في سياق بيان نعم الله - تعالى - التي أنعم بها على عباده وقد جاءت بعد الآيات التي حرم فيها المشركون ما لم يحرم الله - تعالى - عليهم من الأنعام والأغذية، فبين الله - تعالى - أنه الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات؛ وهو وصف لخلق الله - تعالى - في أنواع النبات الذي يكون منه ما هو معروشات؛ أي ممسكات في الأرض ومرفوعات إلى الأعلى بساق قوي، وما هو غير معروشات؛ أي غير مرتفعتات ويقصد به الزرع القصير، وذكر من ذلك النخل والزرع والزيتون والرمان، والنخل من النوع الأول وهو المعروشات، ولعل تقديمه على الزرع في مقام هذه الآية؛ لما فيه من نعمة أظهر بسبب ارتفاعه وانتفاع الناس به، وجاء ذلك متسقا مع وصفه للجنات بمعروشات وغير معروشات بتقدم النخل المعروش على الزرع غير المعروش، ويلحظ في نظم الآية وصف النخل والزرع باختلاف الأكل؛ أي مختلف ثمره من حيث الشكل والطعم واللون، وفي تسمية الثمر بـ(الأكل) إفادة لما ينتفع به الناس حيث يعد من الغذاء الأساسي لهم، فبين لهم نعمة اختلاف هذا الثمر وتنوعه فسماه أكلًا، وجاء الأمر بعد تعداد هذه الأنواع من النباتات بقوله: ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَعَآئُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ

(١) ينظر: الزمخشري، الكشاف: (٢/ ٥٢)؛ و: محمد رشيد رضا، تفسير المنار: (٧/ ٥٣٦)؛ و:

ابن عاشور، التحرير والتنوير: (٧/ ٤٠٤).

الْمُسْرِفِينَ ﴿١﴾ والأمر بالأكل يفيد الإباحة لما فيه ترغيب وحث على الانتفاع بهذه النعمة العظيمة، وفي إفراد كلمة (ثمره) وهي تعود على جميع الأصناف دلالة بلاغية حيث لم تردب (ثمارها) لما في إفراد الثمر من دلالة على اجتماع هذه الثمار في صفة صلاح أكلها والانتفاع به، وفي تقييد الأمر بالأكل بـ(إذا أثمر) دلالة تفيد أن إباحة أكل الثمر تكون من وقت طلوع الثمر وليس إذا أُنِع ونضج، قال الزمخشري: "فإن قلت: ما فائدة قوله إذا أثمر وقد علم أنه إذا لم يثمر لم يؤكل منه؟ قلت: لما أبيض لهم الأكل من ثمره قيل: إذا أثمر، ليعلم أن أول وقت الإباحة وقت إطلاق الشجر الثمر، لئلا يتوهم أنه لا يباح إلا إذا أدرك وأُنِع" (١).

ثم عُطِف على الأمر بالأكل على وجه الإباحة بالأمر بإتياء حقه من الزكاة على وجه الوجوب، فقدم انتفاع العبد بهذه النعم على نفع غيره؛ تكريماً وتنعيماً، والمتأمل في نظم هذه الآية مقارنة بنظم الآية السابقة يتجلى له أن الآية السابقة جاءت للتفكير في آيات الله ونعمه والإيمان به وأما هذه الآية فجاءت للحث على الانتفاع والتصدق بها، بما يؤكد أن غاية التفكير والتعقل مقدمة على الأكل والتصدق، لما في الزرع والنخل وغيرها من آيات ودلائل تؤكد عظمة الله وقدرته من جهة، وفضله وإحسانه وبيان نعمه من جهة أخرى، إضافة إلى أن مقام هذه الآية جاء في سياق تحريم المشركين ما لم يحرم عليهم الله من الأنعام والغذاء فناسب فيها الحث على الأكل والانتفاع بهذه النعم العظيمة (٢).

ويعود الضمير في قوله: ﴿وَأَتَوْا حَقَّهُ وَيَوْمَ حَصَادِهِ﴾ ﴿١﴾ على جميع الثمار المذكورة وأفردت تبعاً لإفراء الثمر المتقدم، وجاء الوصف هنا بالحصاد مع أن الحصاد

(١) الزمخشري، الكشاف: (٢/ ٧٢).

(٢) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب: (١٣/ ١٦٢).

يكون للحب، والتمر يوصف بالصرم، والزيتون والرمان بالجني، على سبيل أسلوب التغليب فأطلق الحصاد على أكثر ما يكون وهو حصد الحب، ويفيد التغليب أن هذه الأنواع من النبات تجتمع في أمر الاستحقاق بالتصدق ولذلك أفرد الضمير في (حصاده) كما أفرد كلمة (أكله) و(ثمره) في نظم الآية لاشتمالها على صفة الإنعام والتفضل^(١).

وقوله - تعالى -: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُبْتِغُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ {النحل: ١٠ - ١١} فورد الحديث عن نعمة إنزال المطر وإنبات الشجر والزرع والزيتون والنخيل والأعناب في سياق الآيات التي تعرض نعم الله التي سخرها لعباده من الأنعام، فبين في هذه الآية أنه المختص سبحانه بإنزال الماء من السماء، فيكون منه شراباً ومنه ما ينبت به الشجر الذي ترعى فيه الأنعام، وينبت بهذا الماء الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات، والمتأمل في نظم هذه الآية التي ورد فيها ذكر النخلة، يلحظ أنها جاءت بعد ذكر الزرع والزيتون وتقدمت على الأعناب إضافة إلى ورود الزرع والزيتون بصيغة الجمع الجنسي والنخيل بصيغة الجمع دون الجمع الجنسي كما تقدم في الآيات السابقة؛ ولعل السر في ذلك أنه روعي في هذه الأصناف معيار الكثرة وشدة الحاجة، ومراعاة ما تقدم من رعي الأنعام؛ لأنه لما تقدم في الآية التي قبلها ذكر إنبات الشجر الذي تسام فيه الأنعام ناسب في هذه الآية أن يتقدم الزرع والزيتون لما في الزرع من ضرورة وشدة حاجة عند الناس والأنعام، كما أن الزرع هو الأكثر عدداً، ثم يليه شجر الزيتون، ثم النخيل، ثم

(١) ينظر: محمد رشيد رضا، تفسير المنار (٨ / ١١٩).

تجليات النخلة في النظم القرآني (دراسة بلاغية)، د. عبد المجيد بن محمد الصاعدي

الأعنان، ووفقا لهذا التقسيم جعل الزرع والزيتون بصيغة الجمع الجنسي لكثرتهما، وجاءت صيغة النخيل والأعنان بصيغة الجمع التي هي أقل من الجمع الجنسي، والفرق بين صيغة الجمع الجنسي (النخل) وصيغة الجمع (النخيل) أن الأولى للشمول فيدخل فيها جنس النخلة المفرد والمثنى والجمع وهو أكثر في الدلالة، أما الثانية فهي صيغة جمع تدل على جمع النخلة؛ وقد وردت في نظم القرآن الكريم وفقا لهذا المعنى؛ فلما كان الحديث عن النخلة فيما تقدم ذكره قبل هذه الآية عن نعمة الإنبات والتفضل به ناسب فيه ورود صيغة الجمع الجنسي (النخل) وأما هذه الآية فقد وردت بصيغة الجمع (النخيل)؛ لما يستدعيه المقام من ترتيب لهذه الأصناف وفقا للكثرة وشدة الحاجة فكانت صيغة الجمع هي الأنسب ليظهر التباين وفق معايير الترتيب فيتجلى الفرق بين الزرع والزيتون، والنخيل والأعنان^(١).

وقد ختمت الآية بقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ وفقا لأسلوب تشابه الأطراف بما يفيد التعليل المرتبط بما تقدم في الآية من ذكر لهذه النعم العظيمة التي تدل على وحدانية الله - تعالى - وعظمته وكمال قدرته، فأكد في ختام الآية على الغاية المنشودة من ذكر هذه الآيات العظيمة وهي التفكير فيها والاعتبار بها، وورد فعل التفكير بصيغة المضارع وحذف متعلقه؛ للدلالة على تجدد هذا التفكير واستحضار صورته، ولتذهب العقول والقلوب فيه مذاهب كثيرة غير محددة بما يتلاءم مع عظم هذه الآيات وتماثل نفعها^(٢).

(١) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب: (١٩ / ١٨٠)؛ و: محمد بن محمد بن عرفة، تفسير ابن عرفة، تحقيق: جلال الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٨ م: (٣ / ٩)؛ و: فاضل بن صالح السامرائي، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، شركة العاتك لصناعة الكتاب - القاهرة - الطبعة الثانية، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م: (ص ٩٧).

(٢) ينظر: البضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل: (٣ / ٢٢١).

ويلحظ في تعريف كلمة (النخيل) بـ(أل) التي للعهد إشارة إلى معرفة الناس له والاسغراق في معناه بما يتلاءم مع معنى التفكير الذي وردت النخلة في سياقه، وأما في قوله - تعالى -: ﴿فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُم فِيهَا فَوَكُهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ {المؤمنون: ١٩} فقد جاء ذكر النخلة في مقام بيان قدرة الله - تعالى - في إنزال الماء وإنشاء الجنات تنعيماً للعباد، ووردت كلمة (نخيل) منكرة لإفادة التكثير والتعظيم لما في التنكير من مناسبة لمعنى الانتفاع بالنخلة والعنب وبيان فضلها، وقد حُص النخيل والأعناب في هذه الآية لما لهما من شأن وشهرة عند العرب وهما من أنفع الأشجار لهم، وقد جاء وصفهما بصفتين هما: التفكه والأكل؛ لكونهما يؤكلان رطباً ويابساً تمراً وزبيبا، وصيغت صفة الأكل بالفعل المضارع (تأكلون) للدلالة على التجدد والحدوث بما يفيد الأكل منهما مباشرة أو الاسترزاق بهما للعيش^(١).

وقوله - تعالى -: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ ٢٤ ﴿أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ۚ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ۚ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۚ وَاعْنَبًا وَقَصْبًا ۚ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۚ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ۚ وَفِكَهَةً وَأَبًّا ۚ مَّتَعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعِمَ كُرُّ ۚ﴾ {عبس: ٢٤ - ٣٢} حيث وردت النخلة في سياق الاستدلال بآيات الله العظيمة في مواجهة الإنسان الكافر ببيان قدرة الله - تعالى - على إنزال الماء وشق الأرض وإنبات النبات فذكر ثمانية أصناف منها، فبدأ بالحب الذي هو قوت الناس، ثم العنب، ثم الزيتون الذي يكون منه الدهن والغذاء، ثم النخل، ويلحظ في جميع الأصناف التي ذكرت أنها تشتمل على طعام الإنسان والحيوان وجاء ترتيبها وفقاً للبدء بالأقصر طولاً؛ فالحب يصلح لكليهما وهو أقصر الأصناف في طوله، ثم ذكر العنب وهو للتفكه ويكون أطول من السابق قليلاً

(١) ينظر: الطبري، جامع البيان: (١٩ / ٢١)؛ و: الرمحشري، الكشف: (٣ / ١٨٠).

تجليات النخلة في النظم القرآني (دراسة بلاغية)، د. عبد المجيد بن محمد الصاعدي

وعطف عليه بالقضب وهو الرطب من القث الذي يقطع للدواب، ثم الزيتون والنخل لما في سعف النخل من غذاء يكون للدواب والزيتون أطول من العنب والنخل أطول من الزيتون، وذكر بعد ذلك الحقائق الملتفة الغليظة التي فيها معنى الطول والغلظة، ثم عطف على ذلك بما هو أعم فذكر الفاكهة والأب؛ وهو طعام الدواب، وعقب على ذلك كله توكيدا لمعنى التفضل والإنعام بقوله: ﴿مَتَّعَا لَكُمْ وَلِأَنْعَمِكُمْ﴾ ومقام هذه الآيات فيه معنى التعجيب والتهويل والتعظيم ولذلك جاء وصف الماء الذي ينبت بسببه النبات بالصب وهو الشدة والكثرة في نزول الماء فناسب معه صيغة التنكير في ذكر النباتات لتكون مفعولا مطلقا مبينا لنوعه بما يتلاءم مع مقام التعظيم والتعجيب، ووفقا لذلك وردت النخلة في هذا المقام بصيغة الجمع الجنسي (نخلا) ومنكرة، لإفادة التعظيم والتعجيب حيث لم ترد بصيغة الجمع (نخيل) لما يقتضيه المقام من مبالغة في الوصف المفضي إلى التفكير والاعتبار^(١).

ومما يلحظ في نظم هذه الآيات قوله: ﴿وَحَدَّاقَ غُلْبًا﴾ والغلب وصف للأشجار الملتفة بعضها فوق بعض وهي طويلة غليظة، وقد ورد أن غلبا وصف للنخل الغلاظ؛ وهو وصف مأخوذ من الإنسان غليظ الرقبة على سبيل التصوير بالاستعارة؛ حيث شبه النخل في غلظته وطوله بغلظ رقبة الإنسان بما يصور هذه الأشجار ومنها النخل على وجه الخصوص في التفافها وغلظتها بأوداج رقبة الإنسان، إضافة إلى التصوير بالمجاز العقلي حيث أسندت صفة الغلظة للحقائق دون أشجارها لعلاقة المكانية بما

(١) ينظر: الزمخشري، الكشاف: (٤ / ٧٠٤)؛ و: إبراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة (د.ت.ط.): (٨ / ٣٣١)؛ و: ابن عاشور، التحرير والتنوير: (٣٠ / ١٣١).

يفيد معنى التعظيم والتهويل والتعجيب وفقا لما يقتضيه المقام^(١).

وقوله - تعالى -: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْدِرًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ۝ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ۝ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ {ق: ٩ - ١١} فورد الحديث عن النخلة في سياق الاستدلال على عظمة الله وقدرته وفضله، حيث أنزل الماء المبارك وأنبت به جنات وحب الحصيد وقد حُص النخل بالذكر في هذا الموضع من بين الأشجار؛ لما له من أهمية بالغة في حياة الناس وما له من دلائل عجيبة تؤكد عظمة الخالق سبحانه، وهو يأتي في مقابل الزرع الذي عبر عنه بحب الحصيد، لأن النباتات تكون على نوعين: الزرع الذي يكون قصيرا وليس له ساق كبيرة، والأشجار الكبيرة ذات الساق الطويلة، وكما اختص من الزرع حب الحصيد لما له من أهمية في حياة الناس إذ هو قوتهم وطعامهم الرئيس فأضيف إلى (الحصيد) لأن الحصد يدل في اللغة على معنى القطع والإحكام ويدل على الكثرة والاجتماع^(٢)، وهذه المعاني حاضرة لازمة في الزرع التي تخرج الحب بما يدل على انتظامها وكثرتها وتكرار قطعها، فقد ذكر فيما يقابله النخل وخصه من بين الأشجار لما له من أهمية كذلك على سبيل المطابقة بين أهم أنواع النباتات التي تدل على عظيم صنع الله - تعالى - وقدرته على البعث بعد الموت حيث جاء وصف الطلع بـ (النضيد) والنضيد في اللغة بمعنى ضم الأشياء إلى بعضها وتراكمها في اتساق منظم، قال ابن فارس: "النون والضاد والdal أصل صحيح يدل على ضم شيء إلى شيء في اتساق وجمع منتصبا أو عريضا، ونضدت الشيء بضمه إلى بعض متسقا أو من

(١) ينظر: الطبري، جامع البيان: (٢٤ / ٢٢٧)؛ و: محمود بن عبد الله الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ: (١٥ / ٢٤٩).

(٢) ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة: (٢ / ٧١)، مادة (حصد).

تجليات النخلة في النَّظم القرآني (دراسة بلاغية)، د. عبد المجيد بن محمد الصاعدي

فوق^(١)، وهو وصف يفيد كثرة الطلع وتراكمه وكثرة الثمر الذي فيه، وتدل صيغة الصفة المشبهة (نضيد) دون اسم المفعول (منضود) على ثبوت هذا الوصف ولزومه للنخل، فهي آية ثابتة يراها كل متفكر معتبر في أي زمان، ولعل وصف الطلع في هذه الآية بالنضيد بعد إضافة الحب إلى الحصيد جاء مناسباً لسياق الآيات التي تردّ على منكري البعث بذكر آيات وأدلة كونية اتسمت بالدقة والانتظام في خلقها وصنعها، فجاء الوصف بما يتسق مع وصف السماء والأرض بالدقة والزينة في الآيات التي قبلها، فوصف طلع النخل بما يدل على الدقة والزينة بـ(نضيد)، وتتجلى هذه المزية لهذين الصنفين من النباتات بذكرهما بعد أن بين في الآيات التي قبلها بأنه أنبت في الأرض من كل زوج بهيج: ﴿وَالْأَرْضُ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْسَىٰ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ {ق: ٧} ولعل إعادة فكرة الإنبات مرة أخرى باختصاص حب الحصيد والنخل في صورة التطابق بينهما؛ لما يجليه هذان النوعان من قدرة الله على إحياء الإنسان وإماتته كيف ما شاء سبحانه وذلك لما في الزرع الذي يخرج الحب من دلالة على النماء بعد قطعه أو زراعته مرة أخرى، وما في النخل من دلالة على طلوع الثمر مرة أخرى في الشجرة نفسها^(٢).

ويلحظ في كلمة النخلة في هذا المقام أنها وردت بصيغة الجمع الجنسي (النخل) دون صيغة الجمع (النخيل) لأن المعتبر في المعنى هو جنس النخلة قليلها وكثيرها، فجاءت بهذه الصيغة لمناسبتها لمعنى التعظيم والاستدلال، وجاءت معرفة بـ(أل) للتخصيص والتكريم والتعظيم والتفخيم، وتلاؤماً مع ذلك جاء وصفها بـ(باسقات) دون (باسقة) وهو جمع مؤنث سالم وهذا الجمع يختص بالدلالة على القلة ومشابته

(١) المرجع السابق: (٥ / ٤٣٩) مادة (نضد).

(٢) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب: (٢٨ / ١٢٩)؛ و: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: (٧ / ٢٥١).

لمعنى الفعل في الحدوث، ومعنى باسقات أي طويلات لأن البسق هو الطول في جهة الارتفاع والعلو^(١) وتدل صيغة اسم الفاعل فيها على تجدد صفة الطول والارتفاع والنماء بما يصور قدرة الله - تعالى - على التغيير والتطوير في الخلق^(٢).

ثانيًا: ورود النخلة في سياق تعداد النعم:

جاء ذكر النخيل مع الأعناب في سياق تعداد النعم وبيان فضل الله - تعالى - على عباده في قوله - تعالى -: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ { النحل: ٦٧ } والمتأمل في نظم الآية يلحظ تقديم (النخيل) على (الأعناب) اهتماما بشأن النخيل؛ لكونه أكثر عددا وأطول عمرا، ويلحظ في ذكر هذه النعمة أنها وردت بالفعل (تتخذون) لأن استخراج ذلك السكر والرزق الحسن يكون بتدخل البشر فهم من يحولون هذه الثمار إلى ذلك، وأما في الآية التي قبلها عندما ذكر ﴿تُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا﴾ وكان المقصود هو اللبن، ناسب معه فعل الإسقاء منسوباً لله - تعالى - لأن صنع اللبن من بين فرث ودم لا يتدخل فيه البشر، كما أن الفعل (تتخذون) يدل على التصنيع والتحويل وصيغة المضارع فيه تدل على التجدد والحدوث بما يتناسب مع معنى صنع ما يشرب ويطعم من هذه الثمرات التي تكون حادثة وفق الحاجة والتحويل^(٣).

كما يلحظ ورود النخلة بصيغة الجمع (النخيل) دون صيغة الجمع الجنسي (النخل) ولعل ذلك لارتباط النخلة ببيان نفعها من الرزق الحسن وضررها من

(١) قال ابن فارس: "الباء والسين والقاف أصل واحد، وهو ارتفاع الشيء وعلوه". مقاييس اللغة: (٢٤٧ / ١) مادة (بسق).

(٢) ينظر: الزمخشري، الكشاف: (٣٨١ / ٤)؛ و: عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: (٤٧٢ / ١٣).

(٣) ينظر: المرجع نفسه: (٦١٦ / ٢)؛ و: ابن عاشور، التحرير والتنوير: (٢٠٢ / ١٤).

تجليات النخلة في النظم القرآني (دراسة بلاغية)، د. عبد المجيد بن محمد الصاعدي

اتخاذ السكر، والسكر لا يتخذ من كل ثمار النخيل، بما يفيد أن السكر يتخذ من ثمار معروفة وفي مرحلة من مراحل نضجه، وفي قوله: ﴿سَكْرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ بيان لما يستخرج من ثمرات النخيل والأعناب وهما صنفان: السكر والرزق الحسن؛ فأما السكر فهو الخمر لما فيه تأثير على العقل وجاء نكرة لإفادة النوع؛ أي نوعا من أنواع ما يتخذ من النخيل والأعناب، كما يفيد التقابل بين سكر ورزق حسنا معنى التلميح بما فيه من ضرر وهو الخمر، والتوجيه الضمني إلى الإفادة من نعم الله - تعالى - بما ينفع^(١).

وجاء ختام الآية بقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ فناسب ذكر التعقل لما تقدم من جهتين: أولهما: أن الغاية من ذكر النعم التي بين أيدي الناس بحاجة إلى تعقل للتمييز بينها لما فيها من ضرر ونفع، وثانيها: أن ذكر فعل التعقل فيه إيماء لما يفعله الخمر في العقول، ولذلك جاءت الجملة الخبرية مؤكدة بـ(إِنَّ) واللام بما يفيد إزالة ما اعتاد عليه الناس من قبول للسكر والجهل بضرره، وقد حذف متعلق الفعل (تعقلون) لتذهب النفس فيه مذاهب كثيرة في معنى التعقل^(٢).

ثالثاً: ورود النخلة في وصف الأرض وبيان اختلافها:

وردت النخلة في سياق الحديث عن الأرض ووصفها وبيان عظمة الله في تسخيرها للعباد في قوله - تعالى -: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَوِّرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَحِدٍ وَنُفِضَ بَعْضُهَا عَلَى

(١) ينظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: (٤ / ٢٨٥)؛ و: محمد بن أحمد أبو زهرة، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي (د. ط. ٤): (٨ / ٤٢١٢).

(٢) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير: (١٤ / ٢٠٤)؛ و: محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير: (٨ / ٤٢١٢).

بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ {الرعد: ٤} وهي آية من الآيات العجيبة التي تدل على عظمة الله - تعالى - وقدرته وفضله وإحسانه، فبينت أن في الأرض قطع متجاورات متقاربات في المكان مختلفات في الصفات بين العذوبة والملوحة والطيب والخبث، وجعل فيها جنات من أعناب وزرع ونخيل متقاربة في الخلقة مختلفة في الألوان والمطعم وهي تشرب من ماء واحد، فجعل من ثمارها ما هو طيب طعمه ورائحته، وما هو حامض طعمه، وما هو مر وما ليس له رائحة، وقد فضل بعضها على بعض في الأكل ليكون ذلك كله آية للتعقل والاهتداء إلى عظمة الخالق سبحانه بما يزيد الإيمان به^(١).

ومما يلفت النظر في ورود هذه الأصناف من النباتات أنه قدم الأعناب ثم الزرع ثم النخيل، ولعل السر في هذا الترتيب يعود لمناسبته مقام الآية المرتبط بوصف البساتين وتفضيل الأكل؛ لأن الأعناب تكون في وسط البساتين ثم يأتي بعدها الزرع ثم يحفها النخيل في أطرافها، إضافة إلى أن العنب من أطيب ما يطعم وفيه أكثر التفاوت في طعمه بين الحلو والحامض وتغير اللون، فناسب في هذا المقام أن يتأخر ذكر النخيل عن هذه الأصناف، وجاء بصيغة الجمع منكرًا للدلالة على التكاثر والتفخيم بما يتلاءم مع مقام الاستدلال على الآية العظيمة في صنع الخالق، ولذلك وصف بصفة عجيبة بديعة فقال: ﴿وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾ والصنوان جمع صنو مثل قنوان جمع قنو، وهذا الوصف البديع بالصنوان يفيد معنيين: أولهما: أن يكون للنخلة أصل واحد وتنبت منه نخلتان أو أكثر، وثانيهما: أن الصنو بمعنى المثل والشبه، فيدل هذا الوصف بناء على ذلك بأن النخيل منها ما ينبت من أصل واحد (شجرتان وأكثر) ومنها ما لا يكون كذلك، وأن أشجار النخيل قد تكون متماثلة

(١) ينظر: الطبري، جامع البيان: (٣٣٣/١٦).

متشابهة وقد لا تكون كذلك^(١).

ولما كان مقام هذه الآية يتحدث عن اختلاف هذه النباتات وتباين بعض أشكالها وثمارها وتشابه الآخر منها، وكان ورود النخيل في الجنات وهي البساتين - ناسب فيه أن توصف النخيل بصنوان وغير صنوان لما يدل عليه من معنى الاختلاف والتشابه في الشكل، ولما كان المقام يتحدث عن الثمر وينعه ناسب فيه وصف النخل بالقنوان الدانية كما مر في قوله - تعالى -: ﴿وَمِنَ النَّخْلِ مِمَّنْ طَلَعَهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ﴾ [الأنعام: ٩٩].

كما جاء وصف هذه الجنات على اختلاف أشكالها وثمارها بـ ﴿يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَ لُبُّ بَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ﴾ وذلك على تقدير: (يسقى كله)، أو على طريق التغليب فغلب التذكير على التأنيث بما يتناسب مع الوصف بصنوان وغير صنوان، وقد حُصّ التفضيل في الأكل مع أنها تتفاضل في غيره؛ لكونه أغلب وجوه الانتفاع، والأكل كما مر بنا هو الثمر وسمي أكلا تنبيها للغاية الأولى من تسخيره والإنعام به والترغيب فيه^(٢).

ويلحظ في ختام هذه الآية أنها ختمت بقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ولم يكن ختامها بالإيمان أو التفكير كما مر في الآيات السابقة التي ورد

(١) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب: (١٩ / ٨).

(٢) ينظر: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان (د.ت.ط): (٢/ ٢٧٨).

فيها الحديث عن النخلة في مقام بيان عظمة الله وتفضله وإنعامه؛ ويتجلى السر في اختصاص هذه الآية بصفة التعقل لما اشتملت عليه من دقة في الوصف وبديع الصنع التي لا يوصل التفكير فيها إلى معرفة أسرار هذا الإبداع العظيم، فناسب فيه ورود التعقل المفضي إلى إعمال العقل والاعتبار والإقرار بقدرة الخالق ووحدانيته - سبحانه وتعالى - ولذلك جاء ختام الآيات التي ورد فيها وصف النخلة بما يتناسب مع المقام التي وردت فيه ودرجة الوصف؛ لأنه لما كان مقام الآية في سياق الدعوة إلى الإيمان بالله - تعالى - ختمت بصفة الإيمان، ولما كان وصف الآيات ظاهراً جلياً جاء بصفة التفكير، ولما كان وصفها دقيقاً بديعاً فيه عجائب خفية في الصنع وصفت بالتعقل^(١).

وقوله - تعالى -: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ۚ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ۚ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ۚ﴾ {الرحمن: ١٠ - ١٢} حيث تضمنت هذه الآيات ذكر نعم الله - تعالى - على عباده فسخر لهم الأرض وجعل فيها الفواكه التي يتفكحون بها والنخل والحب، وذلك في سياق تعداد نعم الله وآياته العظيمة، ويتجلى في نظم هذه الآيات ذكر ثلاثة أصناف من النباتات التي تخرج من الأرض لينتفع بها العباد وقد رتبت وفقاً لمنهج الترتيب من الأقل أهمية إلى ما هو أهم؛ فقدم الفاكهة وهي وصف لكل ثمرة من ثمار الأشجار التي يتفكح بها زيادة في النعم وجاءت منكراً لمعنى التكثير والتعظيم، ثم ذكر بعدها النخل وهو أكثر أهمية وفائدة من الفاكهة، لأنه يجمع بين صفة التغذية والتفكح، ثم ذكر الحب بعدها لكونه الطعام الأساس في حياة الناس وقوتهم الذي يقتاتون به، ويلحظ في ورود النخلة في هذا المقام أنها معرفة ب(أل) وبصيغة الجمع الجنسي (النخل) وذلك لإفادة التخصيص والتعظيم

(١) ينظر: المرجع نفسه؛ و: محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ: (٦/ ٣٤٩).

تجليات النخلة في النظم القرآني (دراسة بلاغية)، د. عبد المجيد بن محمد الصاعدي

والإشارة إلى ما هو معروف مألوف لدى الناس بما يحقق معنى تمييز هذا النوع من الشجر والعناية به لأهميته النفعية طعاما وجمالا وغير ذلك مما يستفاد منه، وتسمى النخلة باسم شجرتها دون ثمرتها لما يضيفه اسمها من جلال وترغيب فيها بخلاف الأعناب التي تسمى بثمرتها دون شجرتها وهي الكرم، لكون اسمها يقلل من شأن الثمر إذا سمي به^(١).

وجاء وصف النخل بذات الأكمام وصفا جماليا لحسن منظره، والكاف والميم في اللغة أصل يدل على معنى التغطية والتغشية والإحاطة^(٢) فيتجلى بهذا الوصف دقة صنع الله وعظمته سبحانه؛ لكونه وصف يفيد معنيين: أولهما: أنها النخلة المتكزمة في ليفها الذي يغطيها، وثانيهما: أنه طلع النخلة في بداية خروجه وهو وعاء يغطي الثمار في هذه المرحلة، قال الطبري: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله وصف النخل بأنها ذات أكمام، وهي متكزمة في ليفها، وطلعها متكمم في جفء، ولم يخص الله الخبر عنها بتكممها في ليفها ولا تكمم طلعها في جفء، بل عم الخبر عنها بأنها ذات أكمام، والصواب أن يقال: عني بذلك ذات ليف، وهي به متكزمة وذات طلع هو في جفء متكمم فيعمم، كما عم جل ثناؤه"^(٣).

ويدل تخصيص النخلة بهذا الوصف دون الأصناف الأخرى من النباتات التي تتغطى بأكمام ولها من هذه الصفة على تمييز النخلة بين الأشجار بوصف حسناتها وجمالها وبيان دقة صنع الله في تكوينها وحفظ ثمارها، وجاءت الأكمام جمعا للكثرة وجعلت صاحبة لها (ذات الأكمام) بما يفيد التفخيم لها ولثمرها وهو مستفاد من

(١) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب: (٢٩ / ٣٤٥)؛ و: ابن عاشور، التحرير والتنوير: (٢٧ / ٢٤٢).

(٢) ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة: (٥ / ١٢٢)، مادة (كَمَّ).

(٣) الطبري، جامع البيان: (١٧ / ٢٢).

صيغة التعريف بـ(أل) في كلمة(الأكمام)^(١).

ولعل وصف النخلة في هذه الآية بـ(ذات الأكمام) وهو وصف يتعلق بمعنى التغطية والإحاطة والحفظ والاحتواء جاء متسقا مع سياق الآيات التي قبلها؛ حيث يتلاءم هذا الوصف مع صفة الرحمة في(الرحمن) لأن الرحمة شاملة تغطي جميع الخلق، وملائم لذكر السماء التي رفعها الله-تعالى- والأرض التي وضعها للأنام بما يجلي معنى الإحاطة والاحتواء والتغطية، وذلك مما يؤكد خصوصية وصف النخلة في هذه الآية بما يتناسب مع السياق القرآني المعجز ببلاغته العجيبة.

رابعاً: ورود النخلة في الاستدلال على البعث بإحياء الأرض الميتة:

جاء الحديث عن إحياء الأرض الميتة بالماء وإنبات الحب فيها والجنات من النخيل والأعناب دليلاً على كمال قدرة الله -تعالى- في إحياء الموتى وبعثهم ليكون ذلك حجة على المشركين المعرضين وزيادة إيمان للمؤمنين^(٢) في قوله-تعالى-: ﴿وَأَيُّ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ۝ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ۝ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ {يس: ٣٣ - ٣٥}، والمتأمل في نظم هذه الآيات يتجلى له أنها بدأت بالحديث عن إنبات الزرع لما له من أهمية بالغة في حياة الناس بأنه قوتهم الذي تقوم عليه حياتهم ثم في مقابل الزرع ذكر إنبات الجنات من النخيل والأعناب وقد خص النخيل والأعناب من بين أنواع الأشجار، لكون الحديث عن صفات تمتاز بها الأرض بعد إحيائها، والنخيل والأعناب هما الألد والأأنفع، لما لهما من قيمة وأهمية بين أصناف الشجر؛ فهما يجمعان بين الغذاء

(١) ينظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: (٧/ ٣٧٧).

(٢) ينظر: الطبري، جامع البيان: (٢٠/ ٥١٤).

تجليات النخلة في النظم القرآني (دراسة بلاغية)، د. عبد المجيد بن محمد الصاعدي

والنفكه؛ وقدم النخيل على الأعناب؛ لما لها من أهمية تفوق العنب، حيث ينتفع بكل ما في النخلة من جذعها وسعفها وثمرها، وما تختص به من قوة في تحمل قلة الماء، وتكون زينة وحماية تحاط بها البساتين وغير ذلك من الصفات التي لا تكون في شجرة العنب، ويلحظ في نظم الآيات أنه ورد ذكر الحب دون الزرع لأنه الغاية المقصودة في استعمال الناس، وفي مقابل ذلك ذكر النخيل باسم شجرتها دون ثمرتها تنبيها لأهميتها في الإفادة منها بكل ما فيها بفوائد عديدة، وعطف عليها الأعناب التي تقتن مع النخيل في غالب مواضع الحديث عن النخلة في القرآن الكريم، إضافة إلى ورود كلمة النخيل بصيغة الجمع (نخيل) منكراً فأفادت معنى التكاثر والتهويل والتعجيب وفقاً لما يقتضيه المقام الذي يتحدث عن نعمة الله في إحياء الأرض بما ينفع الناس في غذائهم وحاجاتهم وما في ذلك من زينة لهذه الجنات وتفجير العيون، وما تضمنه هذا المقام من تعليل بالأكل من ثمره وما عملته أيديهم وذلك يكون في نوع محدد من النخل المثمر^(١).

وعند الحديث عن الحبّ يلحظ في قوله: ﴿فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ تقديم الجار والمجرور لتخصيص الحبّ بأهمية تمتاز عن غيره؛ حيث هو القوت الذي يعتمد عليه الناس في الغذاء ولكون الأكل متعلقاً باسم الثمرة (الحب) دون الشجرة، وعند الحديث عن النخيل والأعناب سميت النخلة باسم شجرتها تكريماً لها، وقال في النخيل والأعناب: ﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾ لكون الأكل من ثمارهما، ويلحظ في هذا التعليل إفرد كلمة (ثمره) دون الجمع؛ ولعل السر في ذلك ما يدل عليه الأفراد من دلالات بلاغية يمكن استحضارها في المعنى دون تراحم بينها؛ فمنها أن الضمير يعود على الله

(١) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب: (٢٦ / ٢٧٣)؛ و: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل: (٤ /

٢٦٧)؛ و: عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (١٢ / ٩٣٠).

- تعالى - لأنه بفضل - تعالى - أخرج هذه الثمار، ويجوز أن يعود الضمير إلى النخيل فذكر الضمير لتذكيره، وتأتي الأعناب تبعاً، لما تقدم بيانه من أهمية ومزية في النخيل، ويجوز أن يعود الضمير على سائر ما ذكر بما يفيد اجتماع هذه الأنواع وهي الحب والنخيل والأعناب في صفة واحدة من حيث الغاية بنفع الناس في الإطعام، كما جاءت صيغة المضارع (يأكلون) و(يأكلوا) في الموضعين كليهما؛ للدلالة على تجدد الفعل وحدوثه واستحضار صورة الأكل بما يدعو إلى التفكير والاعتبار بهذه الحجج الواضحة^(١).

خامساً: ورود النخلة في وصف جنة الآخرة:

ورد الحديث عن النخلة في وصف الجنة وصفا للجننتين المدهمتين أي شديدتا الخضرة والزروع والأشجار، وذلك في قوله - تعالى -: ﴿فِيهِمَا فَكْهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُْمَانٌ﴾ {الرحمن: ٦٨} ويدل حرف الجر (فيهما) على معنى الظرفية؛ أي أن هذه الفاكهة والنخل والرمان مطروفة فيهما وحالة بداخلهما بما يقتضي جمال الوصف والترغيب، ويدل التنكير في كل من (فاكهة) و(نخل) و(رمان) على معنى التكثير والتعظيم والإطلاق في التمتع، إضافة إلى ورودها بصيغة الجمع الجنسي بما يفيد المبالغة في معنى الكثرة، ويلحظ في نظم الآية أن النخل والرمان من الفاكهة وقد أعيد ذكرهما عطفاً على الفاكهة وهما يدخلان في أصنافها، وذلك وفقاً لأسلوب عطف الخاص على العام فاختص النخل والرمان بالذكر بعد التعميم لما لهما من مزية وأهمية بين سائر أصناف الفواكه، وهو من أساليب الإطناب المناسبة في مقام الترغيب في الجنة ووصفها، ومن الدلالات البلاغية في اختصاص النخل والرمان بالذكر في هذه الآية

(١) ينظر: ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ: (٤ / ٤٥٣)؛ و: الرازي مفاتيح الغيب: (٢٦ / ٢٧٤).

تحليلات النخلة في النظم القرآني (دراسة بلاغية)، د. عبد المجيد بن محمد الصاعدي

هو اتساق هذين النوعين مع مقصد سورة الرحمن وسياق ألفاظها ومعانيها التي تتحدث عن ثنائية ضدية بين الإنس والجن، والشمس والقمر، والنجم والشجر، والسماء والأرض، وغيرها من المتضادات وفقا لأسلوب مراعاة النظير؛ حيث إن النخل فاكهة وطعام والرمان فاكهة فقط، والنخل حار وينبت في الأماكن الحارة والرمان بارد وينبت في الأماكن الباردة، وثمر النخل حلو وثمر الرمان حامض، والنخل شجر باسق في طوله والرمان ليس كذلك، وثمر النخل يؤكل ما برز منه وثمر الرمان يؤكل منه ما كمن فيه، كل ذلك بما يؤكد مناسبة هاتين الشجرتين لتحقيق معنى التضاد والاختلاف بين الأشياء، كما ورد تقديم النخل على الرمان لتمييزه وتفضيله وجمعه بين صفتي الغذاء والتفكه^(١).

سادساً: ورود النخلة في نعمة تسخير القمر وبيان منازلها:

ورد الحديث عن جزء من أجزاء النخلة وهو (العرجون) في بيان عظمة الله - تعالى - في تسخير القمر وتكوينه واختلاف منازل ظهوره، فقال - تعالى - : ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ {يس: ٣٩} وذلك بعد الحديث عن آية الشمس وبيان جريانها في مستقرها؛ حيث بينت الآية أن القمر يعود في آخر الشهر دقيقاً معوجاً في هيئة تشبه هيئة العرجون القديم، والعرجون هو العذق الذي يخرج من النخلة فيكون التمر في منتهاه متدلّياً من شماريخه ويبقى متصلاً بالنخلة بعد قطع مجمع أعواد التمر، وسمي بذلك لتعرجه وتقوسه، والقديم هو البالي الذي مر عليه زمن فيبس وتقوس وأصبح دقيقاً، وهذه المنزلة هي الأخيرة من منازل القمر الشهرية وعددها ثمانية وعشرون منزلة، وقد وصفت بهذا الوصف حيث لا يرى ضوء القمر

(١) ينظر: الزمخشري، الكشاف: (٤/ ٤٥٣)؛ و: الرازي، مفاتيح الغيب: (٢٩/ ٣٨٠).

لعدم وجود اسم له مقارنة بأول أجزائه^(١).

ويتجلى للمتأمل في نظم الآية أن الفعل (عاد) يفيد معنى الرجوع والتحول بما يقتضي الدلالة على التحول والتغيير في الهيئة إلى ما كان عليه في بدايته، وبين النظم القرآني صورة القمر من خلال أسلوب التشبيه المحسوس بالمحسوس، فشبّه القمر في آخر منازلّه بالعرجون القديم فكان التشابه من عدة وجوه هي: الدقة، والتقوس، والاصفرار مع شيء من الحمرة، وفي اختيار (العرجون) مشبهاً به في هذه الصورة البديعة دلالة رمزية تكشف تعلق الناس بالنخلة وأجزائها وذلك ظاهر من التعريف بـ(أل) التي تدل على المعهود المتعارف عند الناس، وهو بهذا التوظيف التصويري يجلي للمتأمل علاقات تربط بين منزلة القمر الأخيرة والعرجون القديم لما بينهما من تناسب الشكلي - كما اتضح - والتناسب النفسي وهو أن القمر يكون محط الأنظار والاهتمام في بداية مراحلهِ لإضاءته، ثم لا يلتفت إليه في هذه المنزلة الأخيرة لتعذر الإضاءة، وكذلك العرجون الذي يكون محل الأنظار والاهتمام في بداية عطائه الثمر، ثم لا يلتفت إليه إذا قدم ويس وواعوج، وذلك مما يدل على اهتمام الناس بالقمر من بين الكواكب والنجوم، واهتمامهم بالنخلة من بين الأشجار^(٢).

(١) ينظر: الطبري، جامع البيان: (٢٠ / ٥١٨)؛ و: ابن عاشور، التحرير والتنوير: (٢٣ / ٢٢).

(٢) ينظر: الحسين بن عبد الله الطبري، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطبري على الكشف)، تحقيق: إياد محمد الغوج، وجميل بني عطا، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م: (١٣ / ٥٦)؛ و: أحمد البدوي، من بلاغة القرآن، نخضه مصر - القاهرة، ٢٠٠٥ م: (ص: ١٤٩)؛ و: عبد السلام الراغب، وظيفة الصورة الفنية في القرآن، فصلت للدراسات والترجمة والنشر - حلب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م: (ص: ٦٤).

المبحث الثاني: تجليات النخلة في مقام ضرب الأمثال

ورد ذكر النخلة في مقام ضرب الأمثال في ثلاثة مواضع من نظم القرآن الكريم بما يؤكد أهمية النخلة في دلالتها التصويرية لبيان المعاني في صورة جليلة واضحة تحقق المقاصد المنشودة، ويمكن الحديث عن الدلالات البلاغية لورود النخلة في هذا المقام وفقاً لما يأتي:

أولاً: ضرب المثل لبيان صورة من ينفق ماله رياء، أو من يعمل أعمالاً حسنة ثم يهتمها بأعمال سيئة في آخر حياته: وذلك في قوله -تعالى-: ﴿أَيُّودُ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّحِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ {البقرة: ٢٦٦} هذه الآية مثل آخر ضرب في بيان حال من ينفق رياء ويتبع ما أنفق بالمن والأذى وذلك بعد أن بيّن الله -تعالى- في الآيتين اللتين قبلها صورة من ينفق رياء ويتبع ما أنفق بالمن والأذى؛ فشبهه بصفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلداً، وبيّن الصورة المقابلة لها وهي الإنفاق ابتغاء مرضاة الله فشبهه بجنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين؛ حيث أكدت الصورة التمثيلية الثانية معنى التهيب من الإنفاق رياء وإتباع ذلك بالمن والأذى على وجه الخصوص وهو ما استحسسه الطبري في تفسيره^(١)، ومعنى التهيب من ختام الأعمال الحسنة بعمل سيئ يحقق ما قبله على وجه العموم؛ وورد في تفسير الآية قول ابن عباس رضي الله عنه إجابة لسؤال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "هذا مثل ضربه الله كأنه قال:

(١) ينظر: الطبري، جامع البيان: (٥/ ٥٤٣).

أيود أحدكم أن يعمل عمره بعمل أهل الخير، فإذا فني عمره واقترب أجله ختم ذلك بعمل من عمل أهل الشقاء، فرضي ذلك عمر، وروى ابن أبي مليكة^(١) أن عمر تلا هذه الآية: أيود أحدكم، وقال: هذا مثل ضرب للإنسان يعمل عملاً صالحاً حتى إذا كان عند آخر عمره أحوج ما يكون إليه، عَمِلَ عَمَلِ السَّوءِ^(٢).

ويتجلى في هذا المثل المضروب صورة الذي ينفق رياء ويتبع ذلك بالمن والأذى، أو من يعمل في حياته عملاً حسناً ثم يختتمها بعمل سيئ يفسد ما تقدم وهي صورة معنوية بصورة مَنْ عنده جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار وفيها من كل الثمار المتنوعة، ثم صار كبيراً ضعيفاً ولديه ذرية ضعفاء بما يقتضي شدة الحاجة والعوز في هذا الوقت وهو جني ما قدم وبذل، فأصاب هذه الجنة إعصار من نار فاحتترقت، وهي صورة حسية، ووجه الشبه بينهما هو الهيئة الحاصلة من الخيبة واليأس في وقت تمام الرجاء وإشراف الإنتاج^(٣)، ولكون هذا المثل المضروب يقتضي العموم في كل من يفعل هذا الفعل جاءت ألفاظ الجنة وأشجارها منكراً للدلالة على الإطلاق والعموم، فوردت (جنة) و(نخيل) و(أعناب) وجاءت كلمة (نخيل) على صيغة الجمع متضافرة مع التنكير بما يفيد التكثر المتلائم مع معنى ضرب المثل بصورة كثرة الخير ووفرته، وجاء بيان أهم مكونات هذه الجنة وهي النخيل والأعناب لما لهما من أهمية عظيمة، قال

(١) هو: "أبو بكر وأبو محمد عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة زهير بن عبد الله بن جدعان القرشي التيمي المكي الأحول قاضي مكة زمن بن الزبير ومؤذن الحرم، روى عن جده وعائشة وأم سلمة وعبد الله بن عمرو بن العاص وابن عباس وابن عمر وطائفة...، كان إماماً فقيهاً حجة فصيحا مفوها متفقاً على ثقته...، توفي سنة سبع عشرة ومئة. محمد بن أحمد الذهبي، تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م: (١/ ٧٨).

(٢) ابن عطية، المحرر الوجيز: (١/ ٣٦٠).

(٣) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (٣/ ٥٣).

تجليات النخلة في النظم القرآني (دراسة بلاغية)، د. عبد المجيد بن محمد الصاعدي

ابن القيم: "خص هذين النوعين من الثمار بالذكر لأنهما أشرف أنواع الثمار، وأكثرها نفعا فإن منهما القوت والغذاء، والدواء والشراب والفاكهة، والحلو والحامض، ويؤكلان رطباً، ويابساً، ومنافعهما كثيرة جداً"^(١).

ويلحظ في نظم هذه الآية تقديم النخيل على الأعناب لما للنخلة من أهمية تفوق شجرة العنب في الانتفاع بها وهو مقصد من مقاصد ضرب المثل، ولكون النخيل هي أكثر ما يميز البساتين لطولها وزراعتها في الأطراف والوسط، إضافة إلى أن ذكر النخيل والأعناب تفصيلاً لهذه الجنة ورد بأسلوب الإطناب الذي يقتضيه مقام ضرب المثل وإيضاح المعنى بين ترغيب وترهيب وذلك وفقاً لأسلوب الاستقصاء^(٢)، لأن المعنى قد تم بكلمة الجنة، وجاء التفصيل فيها بذكر النخيل والأعناب والأثمار التي تجري، وتنوع الثمار؛ لبيان أن مصاب صاحبها أعظم ولتكون صورة المثل أكثر عبرة وموعظة^(٣).

ثانياً: ضرب المثل لبيان فضل الكلمة الطيبة في مقابل الكلمة الخبيثة: وذلك في قوله - تعالى -: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢١﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ

(١) ابن قيم الجوزية، تفسير القرآن الكريم، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٠ هـ: (ص: ١٦٦).

(٢) عرفه السيوطي بقوله: "هو أن يتناول المتكلم معنى فيستقصيه فيأتي بجميع عوارضه ولوازمه بعد أن يستقصي جميع أوصافه الذاتية بحيث لا يترك لمن يتناوله بعده فيه مقالاً". جلال الدين السيوطي، الإتيقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م: (٣ / ٢٥٢).

(٣) ينظر: المرجع السابق.

رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ {إبراهيم: ٢٤ - ٢٦} حيث ضرب الله - تعالى - مثلاً يبين فيه حقيقة الكلمة الطيبة وأثرها الطيب حثاً وترغيباً في مقابل الكلمة الخبيثة وأثرها السيئ بما يقتضي التهيب منها؛ والكلمة الطيبة هي الإيمان بالله - تعالى - وأخصها كلمة التوحيد، ويدخل فيها كل كلمة طيبة تجلب لصاحبها الخير، والكلمة الخبيثة هي الكفر بالله وأخصها كلمة الكفر ويندرج فيها كل كلمة خبيثة تجلب لصاحبها الشر، فجاء إيضاح الفرق بين المعنيين المتضادين من خلال أسلوب التشبيه والمقابلة، ويلحظ ورود كل من: (كلمة طيبة كشجرة طيبة) و(كلمة خبيثة كشجرة خبيثة) نكرة؛ لإفادة العموم فيدخل فيهما بيان كلمة التوحيد وكلمة الكفر وما يندرج في مقتضاهما، فشبهت الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة وهي النخلة على وجه الخصوص ويدخل في عموم اللفظ كل شجرة نافعة تحمل الصفات الواردة في المثل، وقد رجح الطبري أن أولى الأقوال في معنى الشجرة الطيبة هو النخلة وفقاً لما ورد في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قال: صحبت ابن عمر إلى المدينة، فلم أسمعهم يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا حديثاً واحداً قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم، فأتي بجمار فقال: من الشجر شجرة مثلها مثل الرجل المسلم. فأردت أن أقول: (هي النخلة)، فإذا أنا أصغر القوم، فسكت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هي النخلة" (١). ويلحظ في نظم الآية أن النخلة لم ترد باسمها وسميت شجرة؛ ولعل السر في

(١) ينظر: الطبري، جامع البيان: (١٦ / ٥٦٧)؛ و: الرمنشيري، الكشاف: (٢ / ٥٥٣)؛ والحديث في صحيح البخاري أخرجه في باب الفهم بالعلم برقم (٧٢)، ينظر: محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري: (١ / ٢٥).

تجليات النخلة في النَّظْم القرآني (دراسة بلاغية)، د. عبد المجيد بن محمد الصاعدي

ذلك يتجلى في الغاية من التشبيه المضروب؛ حيث يتجه المعنى إلى مكونات شجرة النخلة بكل ما فيها اتساقا مع الصفات الأربع التي وصفت بها الشجرة الطيبة وهي: كونها طيبة، وأصلها ثابت، وفرعها في السماء، وتؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، وهي صفات متنوعة دقيقة تبين قيمة هذه الشجرة وفضلها؛ فأما وصفها بـ(طيبة) فليبان طيب المنظر واللون والثمره والرائحة والمنفعة بكل ما فيها، وأما وصفها بـ(أصلها ثابت) فليبان رسوخها وبقائها وصلابتها بما يقتضي الاطمئنان في الانتفاع بها، وأما وصفها بـ(فرعها في السماء) فليبان علوها وتصادد جذعها وأغصانها ونقاء ثمارها التي اعتلت عن قاذورات الأرض بما يقتضي شموخها وارتفاع شأنها، وأما وصفها بـ(تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها) فليبان تجدد عطائها الذي يتكرر كل حين وهو ما يدل عليه الفعل المضارع (تؤتي) إفادة لمعنى تجدد العطاء واستحضار صورته، وسميت ثمارها (أُكُلًا) إشارة إلى صفة الأكل المترتبة عليه، كل ذلك بما يقتضي الترغيب فيها بذكر هذه الصفات، إضافة إلى تشريفها بتعليق سبب إتيائها الأكل بإذن ربها، فجاءت صفة الرب مناسبة لمعنى الترغيب فيها وتشريفها، والدلالة على معنى الرعاية الربانية العظيمة، فتجلت النخلة بهذه الخصائص البلاغية لتكون مثلاً مضروباً لبيان الكلمة الطيبة والترغيب فيها، ووجه الشبه بينهما هو الهيئة الحاصلة من الحسن والفرح والانتفاع المتجدد ورسوخ الأصل وعلو الفرع ووفرة الخير ونمائه^(١).

ثالثاً: ضرب المثل لبيان صورة الكافر المتفاخر بماله وأنصاره على الفقراء

المؤمنين: وذلك في قوله - تعالى -: ﴿وَأَضْرَبَ لَهُم مَّثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَخَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ۖ كَلَّمَا الْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا ۖ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ

(١) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب: (١٩ / ٨٩)؛ و: ابن عاشور، التحرير والتنوير: (١٣ / ٢٢٤).

يُجَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٢-٣٤﴾ {الكهف: ٣٢-٣٤} لما تفاخر المشركون الأغنياء بأموالهم وأنصارهم على المسلمين الفقراء، ضرب الله لهم مثلا يمثل حالهم برجلين قد جعل لأحدهما جنتين من أعناب ونخل يحيط بهما وجعل بينهما زرعاً وفيهما من الثمار الكثيرة والأشجار الغزيرة، ولصاحب الجنتين أموال أخرى غير هاتين الجنتين فكان يتفاخر على الرجل الفقير المؤمن بماله وجاهه، فكفر بالله مدعياً بأن هذه الجنة لا تبعد أبداً وأنكر قيام الساعة وادعى لنفسه المنقلب الحسن إن رُدَّ إلى ربه، فعاقبه الله - تعالى - بهلاك جنتيه وماله وتبدل أحواله^(١)، ويلحظ في نظم الآية أن الله أنعم على هذا الرجل بجنتين ووصفهما بأوصاف تكشف فضل الله - تعالى - عليه والنعمة العظيمة التي كان فيها، فهما جنتان من أعناب قد حفتا بنخل وبينهما زرع؛ أي بين هاتين الجنتين زرع وفيهما ثمار كثيرة وفجر الله خلاهما نهما، ويتجلى في نظم الآية ورود النخلة بصيغة الجمع الجنسي (نخل) منكراً بما يفيد الكثرة والاتساع في الرزق، والتنبيه على جنس النخلة وتخصيصها بالأهمية، بما يتناسب مع مقام الحديث عن ضرب المثل في إنعام الله - تعالى - وتوسيعه على هذا الرجل في الرزق، ولذلك جاءت كلمة (أعناب) بصيغة جمع الكثرة لتمييز جنس النخلة التي وردت في صورة حف البستانين فكان النخل في أطرافهما شاملاً لهما وحاوياً، ولعل هذه الخصوصية في الوصف بجعل النخل حافاً للبستانين، مناسبة لوروده بعد الأعناب وفقاً لمعنى التغطية والإحاطة فقدم المحاط على المحيط، إضافة إلى تسمية إتياء ثمار الجنتين بـ (آتت أكلها) لما في الوصف بالأكل من دلالة على التمتع والانتفاع^(٢).

(١) ينظر: الطبري، جامع البيان: (١٨ / ١٩).

(٢) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب: (٢١ / ٤٦٢)؛ و: ابن عاشور، التحرير والتنوير: (١٥ /

المبحث الثالث: تجليات النخلة في مقام القصص القرآني والإخبار عن إهلاك

الأمم السابقة

وردت النخلة في مقام القصص والإخبار عن إهلاك الأمم السابقة في ستة مواضع من نظم القرآن الكريم بما يبين أن النخلة تشغل حيزا كبيرا في حياة الناس، وأن تعلقهم بها تعلقا شديدا؛ لما لها من دور مهم في الدلالة على الخير والعطاء والقوة والعز والشموخ، ويمكن الحديث عن الدلالات البلاغية لورود النخلة في هذا المقام وفقا لما يأتي:

أولاً: ورود النخلة في قصة مريم عليها السلام: وذلك في قوله -تعالى- ﴿فَاجْأَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّوْسِيًّا ۖ فَادَّهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ۖ وَهَزَيَ إِلَيْكِ جِذْعُ النَّخْلَةِ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا﴾ {مريم: ٢٣-٢٥} وهي في الإخبار عن مريم -عليها السلام- عندما جاءها مخاض الولادة بعيسى -عليه السلام- حينما ذهبت إلى مكان قصي تتخفى عن قومها، حيث اضطرها المخاض وأجأها إلى جذع النخلة لتتشبث به وتستند عليه في ظرف الولادة، والفعل (أجأها) يصور شدة حالها وتعبها، لما يدل عليه من الإلحاح فأسند الإلحاح إلى المخاض على سبيل المجاز العقلي لعلاقة السببية بما يبين شدة حاجتها وضعفها في حال الولادة، وجذع النخلة هو الساق الممتد من الجذور إلى الأغصان في أعلاها وهو أصل النخلة، ويلحظ في نظم الآية قوله: ﴿فَاجْأَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ دون (إلى النخلة) بما يقتضي أنه في ذلك المكان القصي البارد جذع نخلة يابس لا جريد فيه ولا ثمر، وجذع النخلة هو آخر ما يبقى منها إذا ماتت، ومريم -عليها السلام- قد استندت وتشبثت بجزء من الجذع وليس به كاملا فأطلق الكل

وأريد الجزء على سبيل المجاز المرسل، ولعل ذلك مما يصور تكامل الجذع في رسوخه من جذوره إلى أعلاه فيكون صالحا للاستناد والتشبيث، وفي تعريف النخلة بـ(أل) دلالات بلاغية تتناسب مع مقام الآية منها أن التعريف للجنس فيقصد بها واحدة من جنس النخل، ومنها أن التعريف للعهد بما يقتضي عدم وجود غيرها في ذلك المكان وكانت علما معهودا يعرفه الناس، وفي كلا المعنيين دلالة على أهمية النخلة وبيان قيمتها في كل أحوالها، وهذا الموضع من القرآن هو الوحيد الذي جاءت فيه النخلة بصيغة الإفراد؛ ولعل ذلك مناسب للمقام من جهتين: الأولى: أن مقام القصة يتحدث عن نخلة مخصوصة في ظروف شديدة مرت بمريم -عليها السلام- فأكرمها الله -تعالى- بهذه المعجزة العجيبة، وثانيهما: أن الأفراد ملائم لتفرد مريم -عليها السلام- بهذه القصة والمعجزة العجيبة التي تبين عظمة الله -سبحانه وتعالى-^(١).

وفي قوله -تعالى-: ﴿وَهَزَىٰ إِلَيْكَ الْجِدْعَ النَّخْلَةَ نُسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا﴾ أمرت مريم -عليها السلام- أن تهز الجذع الذي ألجأها المخاض إليه؛ وهو تحريك الجذع من أجل أن يُسقط عليها رطبا جنيا، ويتجلى للمتأمل في نظم الآية أن مريم -عليها السلام- كانت في حال الولادة وهي امرأة ضعيفة لا طاقة لها بهز النخلة التي يعجز عن هزها رجال أشداء، فما الحكمة من هذا الأمر مع أن الله -تعالى- قادر على أن يطعمها الرطب الجني دون تحريك لجذع النخلة؟!

ولعل الإجابة على هذا التساؤل تكمن في أمرين: أحدهما عام والثاني خاص بمريم -عليها السلام- فأما العام فهو للحث على بذل الأسباب في طلب الرزق بما يقتضي حث الإنسان على السعي ولو بالقليل، وأما الخاص فهو لإشغال مريم عليها

(١) ينظر: الطبري، جامع البيان: (١٨/ ١٦٧)؛ و: الزمخشري، الكشاف: (٣/ ١١)؛ و: محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي (الخواطر)، مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧م (د.ط): (١٥/ ٩٠٦٣).

تجليات النخلة في النَّظْم القرآني (دراسة بلاغية)، د. عبد المجيد بن محمد الصاعدي

السلام وتسليتها بالهز عما هي فيه من الألم والهم، ولتكون دلالة المعجزة أكثر تطمينا وتثبيتا حيث يتساقط الرطب كلما هزت الجذع فتطمئن لرعاية الله - تعالى - لها^(١).

ويلحظ في تعدية الفعل بحرف الباء ﴿وَهَزَىٰ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ دون (وهزي إليك جذع النخلة) دلالة على شدة القرب والالتصاق، والتيسير عليها بأن تهز من مكان قريب منها فيتساقط عليها الرطب، وفي ورود الفعل (تُسَاقِط) دون (تُسَقِط) دلالة على ارتباط سقوط الرطب بهزها للجذع تفاعلا مع طلبها له بما يقتضيه تجدد السقوط واستمراره مرة بعد مرة تكريما وإنعاما، إضافة إلى أن ثمر النخلة في هذه الآية سمي (رطبا) ووصف بـ(جَنِيَا) والجني في اللغة بمعنى أخذ الثمرة الغضة في وقتها المناسب، قال ابن فارس: "الجيم والنون والياء أصل واحد، وهو أخذ الثمرة من شجرها، ثم يحمل على ذلك، تقول: جنيت الثمرة أجنيها واجتنيتها، وثمر جني؛ أي أخذ لوقته"^(٢)، وهذا الموضع هو الوحيد الذي ذكر فيه ثمر النخلة بهذا الاسم (الرطب) ووصف بـ(جَنِيَا)؛ والرطب هو البلح اللين الذي يكون صالحا للأكل وجاء بصيغة التنكير (رطبا) لإفادة الإطلاق والتكثير، ووصفه بجني على وزن فاعيل بمعنى مفعول وهي صفة مشبهة، للدلالة على لزوم صفة نضجه وطراوته وحداثه استوائه حتى صار مفضيا إلى اجتنيائه، ولبيان أن هذا الثمر قد أخرج في هذا الموقف ولم يكن تمرا باقيا في النخلة من قبل وذلك أنسب في إفادة معنى الإنعام والتكريم المخصوص

(١) ينظر: عبد الكريم القشيري، لطائف الإشارات، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر، الطبعة: الثالثة (د.ت): (١ / ٣٦)؛ و: محمد بن جزي الكلبي، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ: (١ / ٤٧٩)، و: ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: (٣ / ١١٤).

(٢) ابن فارس، مقاييس اللغة (١ / ٤٨٢)، مادة (جَنَى).

لمريم - عليها السلام - في هذا المقام^(١).

ثانياً: ورود النخلة في قصة فرعون مع موسى عليه السلام: وذلك في قوله - تعالى -: ﴿قَالَ ءَامَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ أَنِّيَ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ {طه: ٧١} وهي في بيان حال فرعون عندما جمع السحرة وألقوا عصيهم فغلبهم موسى - عليه السلام - بمعجزة تحول العصا حية تلقف ما ألقوه؛ فإنه لما رأى السحرة هذه المعجزة العظيمة آمنوا برب موسى وخروا سجداً، فغضب فرعون منهم غضبا شديدا لإيمانهم برب موسى وتوعدهم بأن يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وليصلبهم في جذوع النخل، ويتجلى في نظم الآية شدة غضب فرعون وذلك ظاهر من التضعيف والتوكيد في الفعلين: (فَلَأُقَطِّعَنَّ) و(لَأُصَلِّبَنَّ)، وفي قوله: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ دلالة أخرى على شدة غضب فرعون؛ لأن فعل التصليب عدي بالحرف (في) التي تفيد الظرفية دون الحرف (على) الذي يفيد الاستعلاء وذلك على سبيل الاستعارة التبعية في الحرف (في) بما يقتضي التمكن في إدخال الظرف في المظروف فاسعير متعلق الحرف (في) لمتعلق الحرف (على) ومن الدلالات البلاغية في هذا التصوير هو المبالغة في التصليب حيث يدخل اللحم والجلد داخل جذع النخلة على سبيل التمكن دون مفر، إضافة إلى أن الصلب لا يكون على أعلى جذع النخلة وإنما في وسطها وهو ما يقتضيه معنى الحرف (في)، فتجلت النخلة في هذه الصورة التعذيبية الشنيعة فاستخدم فرعون جذوع النخل أداة للصلب وذلك لطول جذع النخلة وصلابته وخشونة هيئته المكونة من أخشاب متعرجة

(١) ينظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: (٤/ ٥٢٩)؛ و: ابن عاشور، التحرير والتنوير: (١٦/ ٨٨)؛ و: محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير: (٩/ ٤٦٢٩).

تحليلات النخلة في النظم القرآني (دراسة بلاغية)، د. عبد المجيد بن محمد الصاعدي

متدرجة، ويلحظ في نظم الآية ورود (جدوع) على صيغة الجمع بما يدل على الكثرة المتلائمة مع معنى المبالغة في شدة العذاب، وأضيفت إلى (النخل) وهي اسم جمع جنسي، ولعل ورود هذه الصيغة في هذا الموضع دون صيغة الجمع (النخيل) للدلالة على التكاثر والشمول وتخصيص جنس شجرة النخيل بهذه المزية المتلائمة لغرض التعذيب بالتصليب، ويدل التعريف فيها على معنى الجنس والعهد؛ أي من جنس النخل الذي تعرفونه بما يقتضي تعظيمها وتحويلها بما يتناسب مع معنى شدة التعذيب^(١).

ويظهر للمتأمل في نظم القرآن الكريم أن جذع النخلة بهذا الاسم قد ورد في قصة مريم -عليها السلام- كما مر في الشاهد السابق وكان وروده في معنى التكريم والإنعام، وورد في قصة فرعون في هذه الآية لغرض بيان طريقة التعذيب التي عذب بها فرعون السحرة الذين آمنوا بالله، وعلى الرغم من اختلاف المعنيين اللذين ورد فيها جذع النخلة إلا أن صورته تجلت بالصلافة والقوة بما يقتضي الانتفاع به في أمور شتى. ثالثاً: ورود النخلة في قصة نبي الله صالح عليه السلام مع قومه: وذلك في

قوله -تعالى-: ﴿أَتَرْكُونَ فِي مَا هَلُمْنَا آمِنِينَ﴾ (١٤٦) فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَرُزُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ {الشعراء: ١٤٦-١٤٨} حيث بينت هذه الآيات قول صالح -عليه السلام- لقومه الذين أعرضوا عن دعوته لهم بعبادة الله -تعالى- وحده وطاعته، فخاطبهم مستنكراً واعظاً ومحدراً من عذاب الله -تعالى- لهم بأن هذه النعم لا تدوم وهم يعصون الله -تعالى- فذكرهم بالنعم التي هم فيها من الأمن في هذه

(١) ينظر: يوسف بن أبي بكر السكاكي، مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم رزور، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م: (ص: ٩٩)؛ و: ابن عاشور، التحرير والتنوير (١٦ / ٢٦٥)؛ و: محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي: (٣١٣٧ / ٥).

البساتين، ويلحظ في نظم الآية أنه ورد ذكر النخل بعد الجنات وهي داخلة فيها وذلك على سبيل ذكر الخاص بعد العام بما يفيد تخصيص النخل بالأهمية والفضل بين سائر الأشجار، إضافة إلى أن النخل ورد بصيغة الجمع الجنسي (نخل) للدلالة على أهمية جنسه وأفاد التنكير فيه معنى التنكير والإطلاق، ولعل السر في وروده بهذه الصيغة دون صيغة الجمع (نخيل) هو ما تدل عليه صيغة الجمع الجنسي من التذكير بفضل هذا الجنس من الشجر بما يقتضي بيان قدره ترغيباً، كما جاء الضمير في (طلعها) بما يفيد التأنيث وهي النخل الإناث التي تخرج الثمر بما يؤكد مناسبة هذه الصيغة لمعنى المبالغة في التكريم، ويلحظ في كلمة (نخل) أنها جاءت مفردة خلافاً لكلمة (زرع) بما يحقق معنى التخصيص لجنس النخل وتمييزه عن غيره من الأشجار^(١).

وجاء وصف النخل في هذا المقام بـ(طلعها هضيم) والطلع هو الوعاء الذي يحمل ثمر النخلة، وهضيم بمعنى أن ثمره هشاً متكسراً ليناً^(٢) بسبب تحمل بعضه فوق بعض أو بسبب مسكه باليد وذلك لطراوته ونضجه، قال الطبري: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: الهضيم: هو المتكسر من لينه ورطوبته، وذلك من قولهم: هضم فلان حقه: إذا انتقصه وتحيفه، فكذلك الهضم في الطلع، إنما هو التنقص منه من رطوبته ولينه إما بمس الأيدي، وإما بركوب بعضه بعضاً، وأصله مفعول صرف إلى فاعيل^(٣)"، وورد أن الهضم هو المطمئن من الأرض^(٤)، وهذا الوصف العجيب

(١) ينظر: الطبري، جامع البيان: (١٩ / ٣٨٠)؛ و: الزمخشري، الكشاف: (٣ / ٣٢٨).

(٢) قال الأزهري ناقلاً عن الليث: "الهاضم: الشادخ، لما فيه رخاوة ولين، تقول: هضمته فاهضم كالقصبه المهضومة التي يرمى بها". الأزهري، تهذيب اللغة: (٦ / ٦٦) مادة (هضم).

(٣) الطبري، جامع البيان: (١٩ / ٣٨١).

(٤) ينظر: الأزهري، تهذيب اللغة: (٦ / ٦٦).

تجليات النخلة في النظم القرآني (دراسة بلاغية)، د. عبد المجيد بن محمد الصاعدي

بـ(هضم) يجمع للطلع مجموعة من الصفات الطيبة فهو هش متكسر منتظم بعضه فوق بعض ناضج متدل قريب التناول، وهضم على وزن فعيل بمعنى مفعول وهي صفة مشبهة تفيد معنى ثبوت هذه الصفة ولزومها لهذا الثمر بما يقتضيه مقام التذكير بالنعم العظيمة وبيان فضل الله - تعالى - عليهم^(١)، ولعل وصف الطلع بهضم وهي تحمل هذه المعاني المتنوعة ومنها النقص والانكسار مناسب لمقام التحذير بزوال النعم؛ لكون قوم صالح - عليه السلام - أعرضوا وكذبوا وعصوا وكان الخطاب لهم على سبيل التذكير بالنعم التي هم فيها والتحذير من زوالها، فجاء الوصف بما يدل على الخير واحتمال النقص.

رابعاً: ورود النخلة في قصة تكذيب المشركين للنبي صلى الله عليه وسلم: وذلك في قوله - تعالى -: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجَرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ۖ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّحِيلٍ وَعَنْبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا﴾ {الإسراء: ٩٠-٩١} وهذه الآيات في الإخبار عن المشركين الذين أعرضوا عن الإيمان بالله وتعتنوا لما جاءهم حجة النبي صلى الله عليه وسلم بالقرآن الكريم فقالوا: لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً، أو تكون لك جنة من نخيل وعنب وتفجر الأنهار خلالها تفجيراً، أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً، أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً، أو يكون لك بيت من زخرف، أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه؛ فطلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم هذه المعجزات تعنتاً منهم وإعراضاً وكفراً^(٢)، ويلحظ في قوله: ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّحِيلٍ وَعَنْبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا﴾ أنهم اقترحوا على النبي صلى الله عليه وسلم بأن تكون له جنة؛ أي بستان من

(١) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير: (١٧٥ / ١٩).

(٢) ينظر: الطبري، جامع البيان: (٥٤٨ / ١٧)؛ و: الرازي، مفاتيح الغيب: (٤٠٧ / ٢١).

نخيل وعنب، فجاء ذكر النخيل والعنب بعد الجنة وهما من أصنافها على سبيل ذكر الخاص بعد العام؛ لما للنخيل والعنب من مزية وفضل بين سائر الأشجار، ولكون هذين النوعين هما أشهر ما يعرف عند العرب؛ لأن منهما يتخذ السكر والرزق الحسن كما قال - تعالى -: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ {النحل: ٦٧}، وهذا مما يبين اشتها هذين النوعين من الأشجار عند العرب وما لهما من مزية فخصوهما بالذكر بعد الجنة، قال الألوسي: "من نخيل وعنب خصوهما بالذكر لأنهما كانا الغالب في هاتيك النواحي مع جلالة قدرهما"^(١) وفي تقديم النخيل على العنب دلالة على تقدمه في الفضل والمزية في الانتفاع، ووردت كلمة (نخيل) بصيغة الجمع دون الجمع الجنسي (نخل) لعدم إرادة الشمول في جنس النخل، وإنما المراد كثرة النخيل في جنة محددة ولا يتعدى المعنى لما في غير هذه الجنة، ويدل التنكير فيها (نخيل) على معنى التكثير بما يتناسب مع معنى التعت في الطلب، والإعراض والصدود عن الحق.

خامساً: ورود النخلة في قصة إجلاء يهود بني قريضة: وذلك في قوله - تعالى -: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾ {الحشر: ٥} وهي في حصار يهود بني النضير وإجلائهم، فقد جاء في سبب نزول هذه الآية "أن رسول الله ﷺ حين أمر أن تقطع نخلهم وتحرق قالوا: يا محمد، قد كنت تنهى عن الفساد في الأرض، فما بال قطع النخل وتحريقها؟ فكان في نفس المؤمنين من ذلك شيء، فنزلت، يعني: أن الله أذن لهم في قطعها ليزيدكم غيظاً ويضاعف لكم حسرة إذا رأيتموهم يتحكمون في أموالكم كيف أحبوا

(١) الألوسي، روح المعاني: (٨ / ١٦٠).

تجليات النخلة في النَّظْم القرآني (دراسة بلاغية)، د. عبد المجيد بن محمد الصاعدي

ويتصرفون فيها ما شاءوا^(١)، ويلحظ في هذه الآية أن النخلة سميت (لينة) من اللين أو من اللون وأصلها (لونة)، وأهل المدينة يسمون النخل عدا العجوة والبرني (لونة)، وورد أن اللينة هي النخلة الكريمة، قال الطبري: "والصواب من القول في ذلك قول من قال: اللينة: النخلة، وهن من ألوان النخل ما لم تكن عجوة"، وقال البيضاوي في معنى من لينة: "من نخلة فعلة من اللون ويجمع على ألوان، وقيل من اللين ومعناها النخلة الكريمة وجمعها أليان"، وتسمية النخلة بهذا الاسم مناسب لمقام الآية؛ لأن اللينة تجمع في دلالتها على ما تلون من النخل غير العجوة والبرني وهما أجود أنواعه، وعلى الكريم من النخل والإشارة إلى تلون شكله وثمره، وقد خصت بالقطع ليستبقوا لأنفسهم ما عداها من العجوة والبرني انتفاعا بالطيب منه، وعلى المعنى الثاني بأن اللينة هي النخلة الكريمة فيكون قطعها غيضا لليهود^(٢).

وتأتي صورة الطباق بين قطع اللينة وتركها قائمة على أصولها بدلالة على تمام الإباحة وارتضاء فعل المؤمنين في أموال يهود بني النضير، ولذلك قدم خيار قطع اللينة على تركها بما يحقق الغرض وحصول المشقة لليهود، إضافة إلى أن كلمة (لينة) جاءت نكرة بعد الحرف (من) بما يفيد معنى الإطلاق والعموم في القطع والترك؛ والمتأمل في صورة الطباق بين ما قطعتم من لينة، وتركتموها قائمة على أصولها، يتجلى له حصول الغرض لليهود؛ لاشتمال الوصفين المتطابقين على ما يحققه من غبن وإذلال؛ ففي حالة قطعها سميت لينة فوصف ما ذهب عنهم من نعمة كريمة، وفي حال تركها وصف قيامها على أصولها وبين قيمتها بهذه الصفة وانتفاع المؤمنين بها؛

(١) الزمخشري، الكشاف: (٤ / ٥٠١)؛ وللاستزادة في سبب نزول الآية، ينظر: علي بن أحمد الواحدي، أسباب نزول القرآن، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح - الدمام، الطبعة: الثانية، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م: (ص: ٤١٧).

(٢) ينظر: الزمخشري، الكشاف: (٤ / ٥٠١).

فجعلت الحالتين من القطع والترك بإذن الله تأييدا لهم ونصرا^(١)، ولعل من اللطائف الدلالية في تسمية النخلة بالينة في هذا المقام، مناسبتها لصفة اليهود في تلونهم وعدائهم للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين.

سادساً: ورود النخلة في الإخبار عن إهلاك قوم عاد: وذلك في قوله - تعالى -: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَشْجَارُ نَحْلٍ مُّنْقَعِرٍ﴾ {القمر: ١٨-٢٠} وقوله - تعالى -: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلَكُوهُم بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَشْجَارُ نَحْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّنْ بَاقِيَةٍ﴾ {الحاقة: ٦-٨} وهما في الإخبار عن إهلاك قوم عاد الذين كفروا وكذبوا وعصوا وتجبروا فأرسل الله عليهم الريح الصرصر وهي الشديدة الباردة ذات الصوت القوي فأهلكتهم جميعا ولم تبق منهم أحدا، وقد استمرت عليهم سبع ليالٍ وثمانية أيام حسوما^(٢)، وجاء توظيف النخلة وأجزائها في هاتين الآيتين لبيان صورة العذاب الشديد الذي حلّ بقوم عاد، فورد تشبيههم في سورة القمر بأعجاز النخل المنقعر، وفي سورة الحاقة بأعجاز النخل الخاوية؛ والنزع هو نقل الشيء وجذبه بقوة، وأعجاز النخل هي قاعدتها التي تقوم عليها وهي ما بين الساق والجذر، لأن عجز الشيء هو آخره وأصله الذي يتكئ عليه، ومعنى منقعر هو اسم فاعل من انقعر وهو ما بلغ قعر الأرض في حفرة، بما يفيد أنه نخل منخلع من أسفل قعره، وفي آية الحاقة جاء وصف

(١) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير: (٧٥ / ٢٨).

(٢) ينظر: الطبري، جامع البيان: (٥٨٥ / ٢٢)؛ و: القشيري، لطائف الإشارات: (٤٩٧ / ٣).

تجليات النخلة في النَّظْم القرآني (دراسة بلاغية)، د. عبد المجيد بن محمد الصاعدي

أعجاز النخل بالخواوية؛ وهي بمعنى بالية متأكلة الأجواف فهي خالية^(١)، ووصف أعجاز النخل بخاوية أعم من وصفها بالمنقعر؛ لأن كونها خاوية يدل على أنها منقعة، وأما وصفها بمنقعر فلا يعني أنها خاوية؛ ولذلك جاء وصف أعجاز النخل بصفتين متكاملتين أولهما منقعر وثانيهما خاوية، فما السر في اختلاف الوصف بين الآيتين وورود الوصف الأول مذكرا(منقعر) والثاني مؤنثا(خاوية)؟

ورد في تذكير وصف النخل بمنقعر أنه حمل على اللفظ، وفي تأنيث وصفها بخاوية بحمل الوصف على المعنى، إضافة إلى مراعاة فواصل نهاية الآيات، ولعل السر في اختلاف الوصف بين التذكير والتأنيث يصحبه اختلاف في مادة الصفة؛ ففي آية سورة القمر وصف بمنقعر لكون الآية تصف بداية الإهلاك فناسب الأفراد فيها لإفراد اليوم في قوله: ﴿فِي يَوْمٍ نَخَسُ مُمْسِجِينَ﴾ وأما الوصف بالتأنيث في آية سورة الحاقة؛ فلكون التأنيث يدل على المبالغة والآية في وصف نهاية الإهلاك ولذلك ناسب التأنيث المفيد معنى المبالغة لوصف الريح بالعاتية وهو وصف لم يرد في سورة القمر، ولجمع الأيام والليالي في قوله: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَنِيَةً أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ فجاء الوصف بمنقعر بما يتناسب مع السياق المقترض بيان بداية الإهلاك، والوصف بخاوية بما يتناسب مع السياق المقترض بيان نهايته والمبالغة فيه، إضافة إلى أن اجتماع الوصفين يحكي صورة متكاملة لما حل بقوم عاد حيث يدل الوصف بمنقعر على أن الريح اقتلعتهم من الحفر التي كانوا يحفرونها توقيا منها فاقتلعتهم واقتلعت رؤوسهم من أجسادهم، ويدل الوصف بخاوية على هيئتهم بعد إهلاكهم حيث أصبحت أجسادهم خاوية مجوفة، فجمع في الوصفين بين بداية الإهلاك ونهايته، وأثره على ما

(١) ينظر: الزمخشري، الكشاف: (٤/ ٤٣٦)؛ و: أحمد بن يوسف السمين الحلبي، الدر المنصور في علوم الكتاب المكنون، الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، (د.ت.ط.): (٥/ ٢٩٢).

ظهر من أجسادهم وما بطن في داخلها كل ذلك بما يقتضي بيان هول التدمير والإهلاك^(١).

وتتجلى بلاغة التشبيه بالأداة (كأن) فشبه قوم عاد حينما حل بهم عذاب الله وهي الرياح الصرصر العاتية بأعجاز نخل منقعر وأعجاز نخل خاوية، في الدلالة على قوة المشابهة بين المشبه والمشبّه به؛ لما تختص به (كأن) بين أدوات التشبيه بالدلالة على قوة المشابهة بين طرفي التشبيه كما ورد في قول ملكة سبأ حينما رأت العرش: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ {النمل: ٤٢} وذلك مما يؤكد أن اختيار المشبه به يصف المشبه بدقة عجيبة لأن جنس النخل الذي ورد بصيغة الجمع الجنسي (نخل) ومنكرا، يقتضي العموم والشمول في جنس النخلة مناسب لحال المشبه؛ فالنخلة تتميز بصلابتها وطولها واختلاف أشكالها ورسوخها في الأرض، وقوم عاد يتصفون بالطول والقوة وقد غرسوا أنفسهم في الحفر ليتقوا الرياح القوية فاقتلعتهم من الحفر واقتلعت رؤوسهم من أجسادهم كما يحصل للنخل المنقعر، والنخل الخاوية، فأصبح منظر النخل بهذه الحالة آية ودليلا يذكر بما حل في قوم عاد الذين كذبوا وتجبروا ليكون ذلك مدعاة للعظة والاعتبار^(٢).

والتأمل في نظم القرآن الكريم يتجلى له أن النخلة قد وردت بثلاث صيغ هي: صيغة الإفراد (النخلة) وذلك في موضعين من قصة مريم -عليها السلام- وصيغة الجمع (النخيل) إحدى عشرة مرة، وصيغة الجمع الجنسي (النخل) سبع مرات؛ حيث لم

(١) ينظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: (٧/ ٣٥٦)؛ و: عبد السلام الراغب، وظيفة الصورة الفنية في القرآن (ص: ١٤٦)؛ و: فاضل السامرائي، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني: (ص ٨٥).

(٢) ينظر: الزمخشري، الكشاف: (٤/ ٤٣٦).

يرد منها المثنى وجمع القلة (نخلات)؛ فأما الأفراد فكان في الحديث عن قصة مريم وبيان إكرام الله لها حينما أجهها المخاض إلى جذع النخلة فأفردت بما يتناسب مع أحداث القصة لكون مريم -عليها السلام- في صحراء والمقام يستدعي بيان شدة الظروف والحاجة فأكرمها الله -تعالى- بجذع النخلة المتفردة إستنادا وإطعاما، فكان الأفراد خاصا بهذا المقام لتفرد حالتها -عليها السلام- وأما صيغة الجمع (النخيل) فتأتي معرفة ومنكرة وفقا لما يقتضيه المقام وهي للدلالة على التكاثر حيث وردت في بيان فضل الله ونعمه وانتفاع العباد به وتأتي هذه الصيغة إذا لم يقصد الشمول فتكون في مجموعة معينة من النخيل إما لقصدها في الجنات فيخرج منه ما في غيرها، أو لاستخدام محدد كاتخاذ السكر والرزق الحسن وغيرهما، وأما صيغة الجمع الجنسي (النخل) فقد وردت أيضا منكرة ومعرفة والجمع الجنسي أقوى في الدلالة على الكثرة من صيغة الجمع وهي تأتي في القرآن الكريم للدلالة على شمول جميع جنس النخل الصغير والكبير والمثمر وغير المثمر ويدخل فيها المفرد والمثنى والجمع، ويرى السهيلي أن (النخيل) بصيغة الجمع تفيد الكثرة لأنها تتناول الصغير والكبير، وأما صيغة الجمع الجنسي (النخل) فهي خاصة بالمثمر فتكون صيغة الجمع أكثر من الجمع الجنسي، قال السهيلي: "وإذا قلت: نخيل أو عبيد، فهو اسم يتناول الصغير والكبير من ذلك الجنس قال الله سبحانه ﴿وَزَرَعُ وَنَخِيلُ﴾ {الرعد: ٤} وقال: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ {فصلت: ٤٦} وحين ذكر المخاطبين منهم قال: العباد، وكذلك قال حين ذكر الثمر من النخيل: ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ﴾ {ق: ١٠} وقال: ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾ {القمر: ٢٠} فتأمل الفرق بين الجمعين في حكم البلاغة واختيار الكلام" (١)،

(١) عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الطبعة الأولى،

ولعل الصواب في ذلك أن صيغة الجمع الجنسي أكثر في الدلالة من صيغة الجمع (النخيل) لأن اسم الجنس أشمل وأعم في الدلالة على الجمع، ولكون اسم الجنس (النخل) قد ورد في القرآن الكريم فشمّل الصغير والكبير والمثمر وغيره وهذا القول رجحه الدكتور فاضل السامرائي في تعقيبه على كلام السهيلي بقوله: "والذي أراه العكس فإن النخل أكثر من النخيل وذلك أن النخل اسم جنس جمعي والنخيل جمع واسم الجنس أشمل وأعم من الجمع كما قرره علماء اللغة وكما هو في الاستعمال القرآني ذلك أن اسم الجنس يشمل المفرد والمثنى والجمع ويقع على القليل والكثير" (١) وقد بين الدكتور فاضل السامرائي من خلال عرض لشواهد القرآن الكريم أن اسم الجنس يقع على المثمر وغير المثمر ووضح الفرق بين الصيغتين في استعمال النظم القرآني وهو أن الجمع الجنسي (النخل) تشمل الصغير والكبير والمفرد والمثنى والجمع والمثمر وغير المثمر سواء أكان في جنات أو في غيرها، أما صيغة الجمع فهي تدل على مجموعة من النخيل أي تدل على ما في الجنات ولا تشمل ما سواها بما يقتضي أن صيغة الجمع الجنسي (النخل) شاملة لجميع أجناس النخل، و صيغة الجمع (النخيل) تدل على الكثرة في صورة محددة لوصف الجنات ولا تشمل جميع جنس النخل وقد وردت في نظم القرآن بهاتين الصيغتين وفقاً لما يقتضيه المقام من هذه المعاني (٢).

ومهما يكن من أمر فقد تجلّت النخلة وأجزاؤها في نظم القرآن الكريم بدلالات بلاغية في ثلاث مقامات هي: بيان عظمة الله وقدرته وآياته ونعمه، و مقام ضرب الأمثال، ومقام القصص والإخبار عن إهلاك الأمم السابقة، فذكرت النخلة باسم

١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام: (٢ / ٧٥).

(١) فاضل السامرائي، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني: (ص ٩٥).

(٢) ينظر: المرجع نفسه: (ص ٩٧).

تحليلات النخلة في النظم القرآني (دراسة بلاغية)، د. عبد المجيد بن محمد الصاعدي

شجرتها بين الأفراد (النخلة) والجمع (النخيل) والجمع الجنسي (النخل) ووردت باسم اللينة، والشجرة، ووظفت في هذه المقامات وفقا لما يقتضيه المعنى المراد، حيث تجلّى الحديث عن النخلة وأجزائها في هذه المقامات بما يؤكد أهميتها وفضلها، فوصفت وصفا دقيقا في كل تجلٍ يقتضيه المقام؛ حيث وصفت بباسقات وبصنوان وغير صنوان وحدائق غلبا، وسمي ثمرها ثمرا وأكلا ورطبا جنيا ووصف طلوعها بالهضيم والنضيد ومختلف أكله وبالقنوان الدانية وذات الأكمام، وذكر من أجزائها الجذع والأعجاز والعرجون وأصلها وفرعها^(١)، ومن أبرز الأساليب البلاغية التي تمثلت فيها النخلة وأجزاؤها وكان له الأثر في تكوين الدلالات البلاغية التي يقتضيه المقام هي: أسلوب التعريف والتنكير، والأفراد والجمع، والتقديم والتأخير، وعطف الخاص على العام، وأسلوب التغليب، والالتفات، واللف والنشر، والطباق، والمقابلة، ومراعاة النظر، وتشابه الأطراف، وأسلوب الاكتفاء، والاستقصاء، والتصوير بالاستعارة والتشبيه المفرد والتمثيلي.

(١) ينظر: خلف محمد يونس حمش، النخلة في التعبير القرآني، جامعة الموصل - كلية التربية للعلوم الإنسانية مجلة التربية والعلم، العراق، المجلد ١٤، العدد الأول: ٢٠٠٧م: (ص ١٠٨) وما بعدها.

الغاتمة:

وفي ختام هذا البحث الذي تناول تحليلات النخلة في النظم القرآني من خلال التحليل البلاغي الذي يكشف دلالاتها البلاغية، ويبين أسرار تنوع النظم في الحديث عنها وتعليل ذلك وفق ما يقتضيه المقام؛ لابد من ذكر أبرز النتائج التي توصل إليها وهي على النحو الآتي:

- ١) وردت النخلة وأجزاؤها في اثنتين وعشرين آية في مقامات متنوعة هي: مقام الحديث عن عظمة الله وبيان آياته ونعمه، ومقام ضرب الأمثال، ومقام القصص القرآني والإخبار عن إهلاك الأمم السابقة، وكان ورودها في مقام الحديث عن عظمة الله تعالى هو الأكثر حيث وردت في ثلاث عشرة آية.
- ٢) وردت النخلة في مقام الحديث عن عظمة الله وقدرته وآياته ونعمه في غالب مواضعها مرتبطة بختامها بأداة التوكيد وحذف المفعول به للفعل المتعدي بما يحقق غرض التوكيد والاتساع في المعنى.
- ٣) تُعد النخلة من الأشجار المباركة المشهورة عند العرب، فورد ذكرها بدلالات بلاغية لغرض التفكير والاعتبار، والحث على الانتفاع بها وبثمرها، وبيان دورها الجمالي والغذائي والتفكهي في بساتين الدنيا وجنة الآخرة.
- ٤) جاء ذكر النخلة في نظم القرآن الكريم باسمها وبغير اسمها وكان هذا التنوع في تمثلها مناسباً للمقام الذي جاءت فيه؛ فذكرت النخلة باسم شجرتها بالإفراد (النخلة) وبالجمع (النخيل) والجمع الجنسي (النخل) ووردت باسم (الليثة)، و(الشجرة)، ووظفت في هذه المقامات وفقاً لما يقتضيه المعنى المراد.
- ٥) تجلّى الحديث عن النخلة وأجزائها وفقاً لما يقتضيه المقام بما يؤكد أهميتها وفضلها، فوصفت وصفاً دقيقاً؛ فورد وصفها بباسقات وبصنوان وغير صنوان وحدائق غلبا، وسمي ثمرها ثمراً وأكلاً ورطباً وفاكهة ووصف بـ(جنيا)

ووصف طلعتها بالهضم والنضيد ومختلف أكله وبالقنوان الدانية وذات الأكمام، وذكر من أجزائها الجذع والأعجاز، والعرجون، وأصلها وفرعها، وذلك من خلال تحليلها في أساليب بلاغية تكسبها الأثر الدلالي الذي يحقق المعنى المقصود.

٦) لم يرد اسم ثمر النخلة (رطباً) إلا في قصة مريم عليها السلام، ووصف ب(جنياً)؛ تكريماً لمريم عليها السلام، وذلك مما يفيد أن هذا الثمر قد أخرج في هذا الموقف ولم يكن تمراً باقياً في النخلة من قبل، فناسبت خصوصية التسمية خصوصية الموقف والتكريم الذي كانت فيه مريم عليها السلام.

٧) تنوع وصف النخلة وأجزائها بما يتناسق مع سياق الآيات؛ حيث وصف طلعتها ب(نضيد) وهو وصف يحمل معنى الدقة في الصنع وزينته في سياق الآيات التي تتحدث عن الدقة والزينة في خلق الله -تعالى- ووصف ب(هضم) وهو وصف يجمع بين معنى الطراوة والنقص في سياق الآيات التي جاءت في تحذير نبي الله صالح -عليه السلام- لقومه من زوال النعم ونقصها، ووصفت النخلة ب(ذات الأكمام) وهو وصف يجمع معاني التغطية والإحاطة، في سياق الآيات التي ورد فيها ذكر الرحمن، ورفع السماء وتسخير الأرض للأنام وهي معاني تقتضي التغطية والإحاطة.

٨) تجلّى في ورود النخلة في نظم القرآن، ارتباط النخلة بحياة العرب؛ ولذلك وصفت وصفاً دقيقاً وتكرر ذكرها بين أصناف الأشجار في مواضع متعددة، وورد تشبيهها بالإنسان من خلال الاستعارة في وصفها ب(حدائق غلبا) وشُبه بها قوم عاد حينما نزل بهم العذاب، ب(أعجاز نخل منقعر) و(أعجاز نخل خاوية).

٩) من أبرز الأساليب البلاغية التي تجلّت فيها النخلة وكان لها الأثر في تكوين

الدلالات البلاغية التي يقتضيها المقام بما يحقق المعنى المقصود هي: أسلوب التعريف والتذكير، والإفراد والجمع، والتقديم والتأخير، وعطف الخاص على العام، وأسلوب التغليب، والالتفات، واللف والنشر، والطباق، والمقابلة، ومراعاة النظير، وتشابه الأطراف، وأسلوب الاكتفاء، والاستقصاء، والتصوير بالاستعارة والتشبيه المفرد والتمثيلي.

(١٠) كان لورود النخلة بين أنواع النباتات من حيث التقديم والتأخير، وتنوعها بين التعريف والتذكير والإفراد وصيغة الجمع دلالات بلاغية مرتبطة بسياق الآيات ومقتضى الحال.

(١١) جاء توظيف النخلة بأسلوب التصوير؛ حيث وظف (الرجون) مشبها به في بيان منزلة القمر الأخيرة، ووظفت النخلة بصيغة الجمع في بيان المثل المضروب بغرض الترغيب والترهيب، وشُبه حال قوم عاد حينما نزل بهم العذاب بأعجاز نخل منقعر وأعجاز نخل خاوية. هذا والله أسأل التوفيق والسداد، وصلى الله وسلم على نبيه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت: ٧٥١هـ)، تفسير القرآن الكريم، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٠ هـ.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري (ت: ٧١١هـ) لسان العرب، دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.

أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت: ٧٥٦هـ)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، (د.ت.د.ط.).

أبو زهرة محمد بن أحمد بن مصطفى (ت: ١٣٩٤هـ)، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي (د.ت.د.ط.).

الأزهري، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت - الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (ت: ١٢٧٠هـ) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (تفسير الألوسي)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

الأندلسي، ابن عطية، عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.

الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين (ت: ٧٤٥هـ)، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر -

بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله، **صحيح البخاري**، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ.

البدوي، أحمد أحمد عبد الله البيلي (ت: ١٣٨٤ هـ) **من بلاغة القرآن**، نهضة مصر - القاهرة، ٢٠٠٥ م.

البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر (ت: ٨٨٥ هـ)، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة (د.ت.ط).

البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت: ٦٨٥ هـ) **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** (تفسير البيضاوي)، تحقيق: محمد عبد الرحمن

المرعشلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ. التونسي، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور (ت: ١٣٩٣ هـ)، **التحرير والتنوير**، الدار التونسية للنشر - تونس: ١٩٨٤ هـ (د.ط).

التونسي، محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي، أبو عبد الله (ت: ٨٠٣ هـ)، **تفسير ابن عرفة**، تحقيق: جلال الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٨ م.

الحسيني، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين (ت: ١٣٥٤ هـ)، **تفسير القرآن الحكيم** (تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب: ١٩٩٠ م.

الخطيب، عبد الكريم يونس، **التفسير القرآني للقرآن**، دار الفكر العربي - القاهرة، (د.ت.ط).

خلف، محمد يونس حمش، **النخلة في التعبير القرآني**، جامعة الموصل - كلية التربية للعلوم الإنسانية مجلة التربية والعلم، العراق، المجلد ١٤، العدد الأول: ٢٠٠٧ م.

ديوان ابن الرومي، شرح الأستاذ أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية بيروت،

الطبعة الثالثة: ١٤٢٣-٢٠٠٢ م.

ديوان أبي نواس، شرح وتحقيق: محمد انيس مهراث، دار مهراث للعلوم، حمص- سورية، الطبعة الأولى: ٢٠٠٩ م.

ديوان امرئ القيس، تحقيق: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

ديوان زهير بن أبي سلمى، شرحه وقدم له: علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠٨-١٩٨٨ م.

ديوان شوقي، توثيق وتبويب وشرح وتعقيب: أحمد محمد الحوفي، نخضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة (د. ط. د. ت).

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت: ٧٤٨هـ) تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨ م.

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت: ٧٤٨هـ) سير أعلام النبلاء، دار الحديث - القاهرة، الطبعة: ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦ م.

الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ)، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.

الرازي، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩ م.

الراغب، عبد السلام أحمد، وظيفة الصورة الفنية في القرآن، فصلت للدراسات والترجمة والنشر - حلب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر (ت: ٧٩٤هـ)، البرهان

في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله (ت: ٥٣٨ هـ)، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة -

١٤٠٧ هـ.

السامرائي، فاضل بن صالح، **بلاغة الكلمة في التعبير القرآني**، شركة العاتك لصناعة الكتاب - القاهرة - الطبعة الثانية، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.

السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي الخوارزمي أبو يعقوب (ت: ٦٢٦ هـ)، **مفتاح العلوم**، ضبطه وكتبه هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار

الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد (ت: ٥٨١ هـ) **الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام**، تحقيق: عمر عبد السلام السلامي، دار

إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت: ٩١١ هـ)، **الإنقان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة:

١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م.

الشعراوي، محمد متولي (ت: ١٤١٨ هـ) **تفسير الشعراوي** - الخواطر، مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧ م (د.ط).

الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر (ت: ٣١٠ هـ)، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة،

الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

الطبي، شرف الدين الحسين بن عبد الله (ت: ٧٤٣ هـ)، **فتوح الغيب في الكشف**

تجليات النخلة في النظم القرآني (دراسة بلاغية)، د. عبد المجيد بن محمد الصاعدي

عن قناع الرب (حاشية الطيبي على الكشاف)، تحقيق: إياد محمد الغوج،
وجميل بني عطا، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤ هـ -
٢٠١٣ م.

الغرناطي، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي، أبو جعفر، ملاك التأويل القاطع بذوي
الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل (ت: ٧٠٨ هـ)،
وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت -
لبنان (د.ت.د.ط.).

القزويني، جلال الدين أبو عبد الله محمد بن سعد الدين بن عمر، الإيضاح في علوم
البلاغة، دار إحياء العلوم - بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٩٨ م.
القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (ت: ٤٦٥ هـ)، لطائف الإشارات
(تفسير القشيري)، تحقيق: براهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب -
مصر، الطبعة: الثالثة (د.ت.).

الكلبي، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي (ت: ٧٤١ هـ)،
التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن
أبي الأرقم - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ.

النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري (ت: ٢٦١ هـ) صحيح مسلم،
تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت (د.ت.د.ط.).
الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي (ت: ٤٦٨ هـ)، أسباب نزول
القرآن، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح - الدمام،
الطبعة: الثانية، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

Bibliography

The Glorious Qur'ān

Ibn Qayyim al-Jawziyyah, Muhammad ibn Abi Bakr ibn Ayyub (d. 751 AH), **Tafsir Al-Qur'ān Al-Karīm**, investigation: Office of Arab and Islamic Studies and Research under the supervision of Sheikh Ibrahim Ramadan, Al-Hilal Library and House - Beirut, Edition: First - 1410 AH.

Ibn Manzour, Muhammad bin Makram bin Ali, Abu Al-Fadl, Jamal Al-Din Al-Ansari (d. 711 AH) **Lisan Al-'Arab**, Dār Sādir - Beirut, Third Edition: - 1414 AH.

Abu al-'Abbas, Shihab al-Din, Ahmad bin Yousuf bin 'Abd al-Dā'im, known as al-Samin al-Halabi (d. 756 AH), **Al-Durr al-Masoun fi Ulūm al-Kitāb al-Maknoun**, Dr. Ahmad Muhammad al-Kharrat, Dar al-Qalam, Damascus, (N. D, N. E).

Abu Zahra Muhammad bin Ahmad bin Mustafa (d.: 1394 AH), **Zahrat Al-Tafāsīr**, Dar Al-Fikr Al-Arabi (N. D, N. E).

Al-Azhari, Muhammad bin Ahmad, **Tahdeeb Al-Lugha**, investigation: Muhammad Awad Mur'ib, Dār Revival of Arab Heritage - Beirut - First Edition, 2001.

Al-Alousi, Shihab al-Din Mahmoud bin 'Abdillah al-Husseini (d. 1270 AH) **Rūh Al-Ma'āni fi Tafseer Al-Qur'ān Al-'Azeem wa Al-Sab' Al-Mathāni** (Tafseer Al-Alousi), investigation: 'Ali 'Abd al-Bari 'Attia, Dār al-Kutub al-'Ilmiyya - Beirut, First Edition, 1415 AH.

Al-Andalusi, Ibn 'Attia, Abd al-Haqq bin Ghālib, **Al-Muharrar Al-Wajeez fi Tafseer Al-Kitāb Al-'Azeez**, investigation: 'Abd al-Salām 'Abd al-Shafi Muhammad, Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah - Beirut, first edition, - 1422 AH.

Al-Andalusi, Abu Hayyān Muhammad bin Yousuf (d.: 745 AH), **Al-Bahr Al-Muheet fi Al-Tafsir**, investigation: Sidqi Muhammad Jamil, Dār Al-Fikr - Beirut, Edition: 1420 AH.

Al-Bukhārī, Muhammad bin Ismail, **Sahih Al-Bukhari**, investigation: Muhammad Zuhair bin Nasir Al-Nasir, Dār Touq Al-Najat, First Edition, 1422 AH.

Al-Badawi, Ahmad Ahmad 'Abdullah Al-Bayli (d.: 1384 AH) **Min Balāghat Al-Qur'ān**, Nahdat Misr - Cairo, 2005.

Al-Biqā'i, Ibrahim bin Omar bin Hasan Al-Ribat bin Ali bin Abi Bakr (d. 885 AH), **Naẓm Al-Durar fi Tanāasub Al-Āyāt wa Al-**

- Suwarn**, Dār Al-Kitab Al-Islami, Cairo (N. D, N. E).
- Al-Baydāwī, Nasir Al-Din Abu Sa‘eed ‘Abdullah bin Omar bin Muhammad Al-Shirazi (d. 685 AH) **Anwār Al-Tanzeel wa Asrār Al-Tahweel** (Tafsir Al-Baydawi), investigation: Muhammad ‘Abd al-Rahman Al-Mar‘ashli, Dār Revival of Arab Heritage - Beirut, First Edition, 1418 AH.
- Al-Tunisi, Muhammad Al-Tāhir bin Muhammad bin Muhammad Al-Tāhir bin ‘Āshour (d. 1393 AH), **Al-Tahrir wa Al-Tanweer**, Al-Dār Al-Tuneesiyyah for Publication - Tunisia: 1984 AH (N. E).
- Al-Tunisi, Muhammad bin Muhammad Ibn ‘Arafa (d.: 803 AH), **Tafseer Ibn ‘Arafah**, investigation: Jalāl Al-Asyuti, Dār Al-Kutub Al-Ālami, Beirut - Lebanon, First Edition, 2008.
- Al-Husaini, Muhammad Rashid bin ‘Ali (d. 1354 AH), **Tafseer Al-Qur’ān Al-Hakeem** (Tafseer Al-Manār), the Egyptian General Book Organization: 1990.
- Al-Khatib, ‘Abd al-Karim Yunus, **Al-Tafseer Al-Qur’āni lil Qur’ān**, Dār Al-Fikr Al-‘Arabi - Cairo, (N. D, N. E).
- Khalaf, Muhammad Yunus Hamish, **Al-Nakhla fi Al-Ta‘beer Al-Qur’ān**, University of Mosul - College of Education for Human Sciences, Journal of Education and Science, Iraq, Volume 14, Issue 1: 2007.
- Diwān Ibn Al-Roumi**, explained by Professor Ahmad Hasan Basaj, Dār Al-Kutub Al-‘Ilmiya, Beirut, third edition, 1423-2002.
- Diwān Abi Nuwās**, Explanation and investigation: Muhammad Anis Maharat, Dār Maharat lil ‘Uloum, Homs - Syria, first edition: 2009.
- Diwān Imru' al-Qais**, investigation: Abd al-Rahman al-Mustawi, Dār al-Ma‘rifah - Beirut, second edition, 1425 AH - 2004.
- Diwān Zuhair bin Abi Salma**, explained and introduced by: ‘Ali Hasan Fa‘our, Dār Al-Kutub Al-‘Ilmiyyah, Yaroot, first edition: 1408-1988.
- Diwān Shawqi**, Authentication, Classification, Explanation, and Commentary: Ahmad Muhammad Al-Houfy, Nahdat Misr for Printing, Publishing, and Distribution, Cairo (N. E, N. D).
- Al-Dhahabi, Shams al-Din Abu ‘Abdillah Muhammad bin Ahmad (d. 748 AH), **Tadhkirat Al-Huffaz**, Dār Al-Kutub Al-‘Ilmiyyah, Beirut-Lebanon, first edition, 1419 AH - 1998.
- Al-Dhahabi, Shams al-Din Abu ‘Abdillah Muhammad bin Ahmad (d. 748 AH) **Siyarr A‘lām Al-Nubalā**, Dār Al-Hadith - Cairo, Edition: 1427 AH-2006.

- Al-Rāzi, Abu ‘Abdillah Muhammad bin Omar bin Al-Hasan bin Al-Husain Al-Taymi, nicknamed Fakhr Al-Din Al-Rāzi, Khatib Al-Ray (d. 606 AH), **Mafateeh Al-Ghaib** (Al-Tafseer Al-Kabeer), Dār Revival of Arab Heritage - Beirut, Third Edition, 1420 AH.
- Al-Rāzi, Ahmad bin Faris bin Zakaria Al-Qazwini Abu Al-Husain (d. 395 AH), **Maqāyees Al-Lugha**, investigation: ‘Abd al-Salām Muhammad Haroun, Dār Al-Fikr, 1399 AH - 1979.
- Al-Rāghib, ‘Abd al-Salām Ahmad, **The Function of the Artistic Image in the Qur’an** (in Arabic), Fussilat for Studies, Translation and Publishing - Aleppo, Edition: First, 1422 AH - 2001.
- Al-Zarkashi, Abu ‘Abdillah Badr al-Din Muhammad bin Abdillah bin Bahadur (d. 794 AH), **Al-Burhān fi ‘Uloum Al-Qur’ān**, investigation: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, Dār Ihyā Al-Kutub Al-‘Arabiyyah, Issa Al-Bābi Al-Halabi and co, First Edition:, 1376 AH - 1957.
- Al-Zamakhshari, Abu Al-Qasim Mahmoud bin ‘Amr bin Ahmad, (d. 538 AH), **Al-Kashāf ‘an Haqā’iq Ghawāmid Al-Tanzeel**, Dār Al-Kitab Al-‘Arabi - Beirut, Third Edition: 1407 AH.
- Al-Sāmurrā’i, Fāḍil bin Saleh, **Balāghat Al-Kalimah fi Al-Ta‘beer Al-Qur’āni**, Al-‘Ātak Book Industry Company - Cairo - Second Edition, 1427 AH-2006.
- Al-Sakkāki, Yousuf bin Abi Bakr bin Muhammad bin ‘Ali al-Khwarizmi Abu Yaqoub (d. 626 AH), **Miftāh Al-‘Uloum**, corrected and annotated and commented on it: Na‘im Zarzour, Dār Al-Kutub Al-‘Ilmya, Beirut - Lebanon, Second Edition, 1407 AH - 1987.
- Al-Suhaili, Abu al-Qasim Abd al-Rahman bin ‘Abdillah bin Ahmad (d. 581 AH), **Al-Rawd Al-Unf fi Sharh Al-Seerah Al-Nabawiyyah li Ibn Hishām**, investigation: Omar Abd al-Salam al-Salami, Dār Ihyā Al-Turāth Al-‘Arabi, Beirut, First Edition, 1421 AH / 2000.
- Al-Suyouti, ‘Abd al-Rahman bin Abi Bakr, Jalāl al-Din (d. 911 AH), **Al-Itqān fi ‘Uloum Al-Qur’ān**, investigation: Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, the Egyptian General Book Authority, edition: 1394 AH / 1974.
- Al-Sha‘rāwī, Muhammad Metwally (d. 1418 AH) **Tafseer Al-Sha‘rāwī** – Al-Khawātir, Akhbar Al-Youm Press, 1997 (N. E).
- Al-Tabari, Muhammad bin Jarir bin Yazid (d. 310 AH), **Jāmi’ Al-Bayān fi Ta’weel Al-Qur’ān**, investigation by Ahmad Muhammad Shakir, Al-Risala Foundation, Edition: First, 1420 AH - 2000.

- Al-Tayyibi, Sharaf al-Din al-Husain bin ‘Abdillah (d. 743 AH), **Futouh Al-Ghaib fi Al-Kashf ‘an Qinā’ Al-Raib** (Hāshiyah al-Tayyibi ‘alā Al-Kashāf), investigation: Iyad Muhammad al-Ghouj, and Jamil Bani ‘Atā, Dubai International Award for the Glorious Qur’an, First Edition, 1434 AH - 2013.
- Al-Gharnāṭi, Ahmad bin Ibrahim bin Al-Zubair Al-Thaqafi, Abu Ja‘far, **Milāk Al-Ta‘weel Al-Qāti’ bi Dhawi Al-Ilhād wa Al-Ta‘teel fi Tawjeeh Al-Mutashābih Al-Lafdh min Āyi Al-Tanzeel** (d. 708 AH), footnotes by: Abdul Ghani Muhammad ‘Ali Al-Fāsi, Dār Al-Kutub Al-‘Ilmiyyah, Beirut - Lebanon (N. D, N. E).
- Al-Qazwini, Jalāl al-Din Abu ‘Abdillah Muhammad bin Sa‘d al-Din bin Omar, **Al-Idāḥ fi ‘Uloum Al-Balāgha**, Dār Ihya al-‘Uloom - Beirut, fourth edition, 1998.
- Al-Qushayri, ‘Abd al-Karim bin Hawazin bin ‘Abd al-Malik (d. 465 AH), **Latā’if al-Ishārāt** (Tafseer al-Qushayri), investigation: Ibrahim al-Basiouni, the Egyptian General Book Organization - Egypt, third edition, (N. D).
- Al-Kalbi, Abu Al-Qasim, Muhammad bin Ahmad bin Muhammad bin ‘Abdillah, Ibn Jazzi (d. 741 AH), **Al-Tasheel li ‘Uloum Al-Tanzeel**, investigation: Dr. ‘Abdullah Al-Khalidi, Dār Al-Arqam Bin Abi Al-Arqam Company - Beirut, First Edition, 1416 AH.
- Al-Nisābouri, Muslim bin Al-Hajjaj Abu Al-Hasan Al-Qushairi (d. 261 AH) **Sahih Muslim**, investigation: Muhammad Fuād ‘Abd al-Bāqi, Dār Ihya Al-Turath Al-Arabi - Beirut (N. D, N. E).
- Al-Wāhidi, Abu Al-Hasan ‘Ali bin Ahmad bin Muhammad bin ‘Ali (d. 468 AH), **Asbāb Nuzoul Al-Qur’ān**, investigation: ‘Isām bin ‘Abd al- Muhsin Al-Humaidan, Dār Al-Islah - Dammam, second edition, 1412 AH - 1992.





الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
ISLAMIC UNIVERSITY OF MADINAH

Journal of

Arabic Language and Literature

Vol : 8

Part : 1

Apr - Jun 2023